مساعي الدولة العثمانية في سبيل مساعدة مسلمي الأندلس الموريسكيين (١٤٨٦-١٥٧١م) في ضوء وثائق الأرشيف العثماني

باحث دكتوراه صلاح خيراني، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس– سلطنة عمان.

الأستاذ الدكتور محمد سالم غثيان الطراونة، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس– سلطنة عمان. وجامعة مؤتة– الأردن.

أ.م.د.هادي عبد الفتاح المحاسنة جامعة العقبة للتكنولوجيا

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى بيان ما بذلته الدولة العثمانية من مساعٍ وجهود حثيثة لنصرة مسلمي الأندلس الموريسكيين المُضطهَدين في دينهم، والمُبعَدين عن أرضهم، وكذلك بيان طبيعة العلاقات العثمانية الأندلسية الموريسكية؛ بداياتها وصيرورتها، فضلًا عن رسائل الاستغاثة والاستنجاد التي أرسلها مسلمو الأندلس الموريسكيون إلى العثمانيين، طالبين منهم المساعدة والعون.

أبرزت الدراسة دور العثمانيين في دعم مطالب مسلمي الأندلس الموريسكيين، وسرعة استجابتهم لصرخاتهم واستغاثاتهم المُتكرِّرة؛ ما يُؤكِّد حرص الدولة العثمانية على نصرة هؤلاء المسلمين، سواء أكان ذلك بصورة مباشرة من المركز في إسطنبول، أم بصورة غير مباشرة عن طريق الإيعاز إلى بايلربايات الجزائر العثمانية بمساعدة إخوانهم من مسلمي الأندلس الموريسكيين، ومَدِّهم بالعُدَّة والعتاد.

تجدر الإشارة إلى أنَّ هذه الدراسة قد اعتمدت على مجموعة من الوثائق الموجودة في سجلات الأرشيف العثماني، وأنَّ بعض هذه الوثائق لم تُنشَر من قبلُ.

الكلمات المفتاحية: الدولة العثمانية، مسلمو الأندلس، الموريسكيون، الأرشيف العثماني.

The efforts of the Ottoman Empire in order to help the Moriscos Muslims of Andalusia (1486-1571 AD) In light of the documents of the Ottoman archives

Abstract

This study aims to clarify the efforts made by the Ottoman Empire to support the Moriscos Muslims of Andalusia, who were persecuted in their religion and expelled from their land, as well as the nature of the Ottoman Andalusian-Moriscos relations. Also to clarify the beginnings and duration of this relation, as well as the messages of distress and appeal sent by the Moriscos Muslims of Andalusia to the Ottomans, seeking help and assistance.

The study highlighted the role of the Ottomans in supporting the demands of the Moorish Muslims of Andalusia, and their quick response to their repeated yelps and distress; What confirms the Ottoman State's keenness to support these Muslims, whether directly from the center in Istanbul, or indirectly by instructing the Beylerbeys of Ottoman in Algeria to help their fellow Moriscos Muslims of Andalusia, and provide them with materiel.

It should be noted that this study relied on a group of documents found in the records of the Ottoman archives, and that some of these documents had not been published before.

Keywords: the Ottoman Empire, the Muslims of Andalusia, the Moriscos, the Ottoman archive.

مقدمة:

شهد العالَم الإسلامي في القرنين الخامس عشر والسادس عشر للميلاد تحوُّلين بارزين ومُتناقِضين في آنٍ معًا؛ أمّا التحوُّل الأول فكان بروز الدولة العثمانية بوصفها دولة عالمية لها حضورها الفاعل على مسرح

الأحداث الدولية آنذاك، وأمّا التحوُّل الثاني فكان خروج الأندلس من حضن العالَم الإسلامي نتيجة الاحتلال المسيحي لها.

لقد تمكَّنت الدولة العثمانية من فتح بلاد البلقان، والامتداد إلى أواسط أوروبا، وكذلك التوسُّع حتى بلاد القوقاز بعد تحقيق وحدتها الداخلية، فضلًا عن ضم أرجاء واسعة من جنوب غرب آسيا وصولًا إلى شمال إفريقيا؛ ما جعلها قوَّةً عظمى، ودولةً مَهيبةً ممتدةً ومُترامِيةَ الأطراف في القارات الثلاث من العالَم القديم، لا سيَّما في النصف الثاني من القرن السادس عشر للميلاد.

ومن ثَمَّ، فقد سعت الدولة العثمانية جاهدةً إلى إنشاء كيان إسلامي منيع وقادر على در مخاطر الأُمم والقوميات المعادية له. غير أنَّ بلاد الأندلس التي كانت أشبه بالقلب للعالَم الإسلامي شهدت قلاقلَ وحروبًا وصراعاتٍ، أشعلت فتيلها قوى الاحتلال المُتكالِبة عليها؛ إذ كانت الأندلس تعيش وقتئذٍ آخر أيامها الحزينة في مواجهة آلة الدمار والعدوان البغيض الذي اتَّخذ من الدين والعِرق والتعصُّب شعارًا لحملاته المسيحية.

فبعد أنِ انحصرت دولة بني الأحمر في غرناطة وما جاورها من مناطق في جنوب الأندلس، ونتيجةً لهجمات الإسبان الجماعية والمُتكاتِفة (أطلق عليها المُؤرِّخون الغربيون اسم حروب الاسترداد)؛ سُلِّمت مفاتيح مدينة غرناطة إلى الإسبان، وسقط آخر معقل للمسلمين في الأندلس في اليوم الثاني من شهر جانفي (يناير) عام ١٤٩٣م (٨٩٧هـ).[١]

بالرغم من هذه التحوُّلات كلها، فإنَّ الوجود الإسلامي في الأندلس ظلَّ حاضرًا؛ إذ منح الغزاة الإسبان كثيرًا من مسلمي الأندلس الأمان؛ بعدم التعرُّض لهم، والحفاظ على أرواحهم وأعراضهم ودينهم ومالهم وأملاكهم وأراضيهم، لكنَّهم تنصَّلوا من ذلك كله حين استتبَّ لهم الأمر، وهذا هو ديدنهم في جميع العهود التي أبرموها مع مسلمي الأندلس.

ففي مطلع القرن السادس عشر للميلاد، وبعد سنوات قليلة على توقيع معاهدة الاستسلام (تسليم غرناطة)، بدأ الإسبان تطبيق مُخطَّطاتهم لتنصير مسلمي الأندلس؛ فأصدروا بين عام (١٥٠٠م) وعام (١٥٢٤م) مراسيم تنص على التعميد الإجباري لمسلمي الأندلس، وقد أُطلِق على هؤلاء اسم الموريسكيين (Morisco). أمّا مَنْ عارض عملية التعميد فتعرَّض للنفي خارج البلاد.

بعد ذلك أنشأ الإسبان محاكم التفتيش للتضييق على مسلمي الأندلس المُعمَّدين (الموريسكيين)، وتشديد سُبُل الرقابة عليهم. ومن ذلك إجبارهم على تناول الطعام والشراب وَفق النمط النصراني للتأكُّد أنَّهم خلعوا رداء الإسلام، وتدثَّروا بلحاف النصرانية.

(١) انظر: بوز، فارس، **تاريخ العرب في الأندلس: من الفتح العربي حتى سقوط غرناطة**، جامعة دمشق، دمشق، ١٩٩٥م.

شعر المسلمون بالحنق والغضب نتيجةً لذلك كله، فسارعوا إلى إعلان تمرُّدهم، أو لِنَقُل ثورتهم، في مدينة غرناطة عام ١٥٦٨م.(٢) وقد استمرت هذه الثورة نحو سنتين، مُخلِّفةً كثيرًا من الخسائر في الأرواح والممتلكات. بعد ذلك عَمَد الإسبان إلى تشديد الخناق على الموريسكيين، وتهجيرهم بين مدن الأندلس، ونفيهم، والتنكيل بمَنْ ثبت إخفاؤه لدينه الإسلام. وإمعانًا في بثِّ الذعر بين الثائرين، وجعلهم عِبْرةً لمَنْ أراد أنْ يتمرَّد أو يثور، وللقضاء على روح الثورة، وإحداث الهزيمة النفسية في نفوس مسلمي الأندلس الموريسكيين؛ صَلَب الإسبان مجموعة من الثوّار وحرقوهم في الساحات العامة بمدن الأندلس الثائرة، لكنَّ هذه الأساليب القمعية الترهيبية لم تُثْنِ مسلمي الأندلس الموريسكيين عن تمسُّكهم بإسلامهم.

وفي هذا الصدد، قد يتبادر إلى الذهن كثير من الأسئلة المهمة، مثل: هل غضَّتِ الدولة العثمانية الطرف عمّا كان يعانيه مسلمو الأندلس من تعذيب وترهيب وتنصير؟ ماذا فعلت في ظلِّ هذه التطوُّرات؟ ألم تتدخل لوضع حدٍّ ينهي المآسي التي عاشها مسلمو الأندلس الموريسكيون؟ هل عجزت عن إيجاد حَلٍّ ينتصر لمسلمي الأندلس المُضطهَدين؟

لقد طرح بعض الباحثين جوابًا مُحتمَلًا عن هذه الأسئلة، مفاده أنَّ الدولة العثمانية ظلَّت غير آبهةٍ بالمِحَن التي تعرَّض لها مسلمو الأندلس، ولم تحفل بنداءات الإغاثة والنجدة التي أطلقوها.

والحقيقة أنَّ هذا الجواب المُحتمَل ما يزال يلقى اليوم قبولًا لدى فئة من الباحثين والدارسين، بالرغم من أنَّ وثائق سجلات الأرشيف العالمية، وعلى رأسها الأرشيف العثماني، تُؤكِّد نفي ذلك جُمْلةً وتفصيلًا؛ إذ درس هذه الوثائق كثير من المُؤرِّخين والباحثين، وكتبوا عنها مقالات عِدَّة، أجابوا فيها عن كثير من الأسئلة المُتعلِّقة بحقيقة مساعدة العثمانيين لمسلمي الأندلس الموريسكيين.(٣) وجاء على رأس هؤلاء المُؤرِّخ التونسي عبد الجليل التميمي. أمّا المُؤرِّخ والباحث الجزائري شكيب بن حفري فهو مِنْ أوائل مَنْ تناولوا مختلف جوانب هذا الموضوع استنادًا إلى وثائق الأرشيف العثماني، وقد انتهت دراسته إلى نتائج جديدة تُؤكِّد دعم العثمانيين للموريسكيين، مُضمِّنًا ذلك في دراسته الأكاديمية باللغة التركية لنيل شهادة الماجستير من جامعة حاجي تبه في مدينة أنقرة التركية.(٤) يضاف إلى ذلك دراسة رضوان عبد الحي التي حملت عنوان: (جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس

(٢) كاربخال مارمول، **وقائع ثورة الموريسكيين**، تر. وسام محمد جزر، مراجعة وتقديم: جمال عبد الرحمن، المركز القومي للترجمة، ج٢، ط١، القاهرة، ٢٠١٢م.

(٣) التميمي، عبد الجليل، **الدولة العثمانية وقضية الموريسكيين الأندلسيين**، مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان– تونس، ١٩٨٩م.

(4) Benafri, Chakib, **Endülüs'te Son Müslüman Kalıntısı Morisko'ların Cezayir'e Göçü Ve Osmanlı Yardımı**, Hacettepe Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü, (Basılmamış Yüksek Lisans Tezi), Ankara, 1989.

واسترداده في مطلع العصر الحديث)،[٥] لكنَّ هذه الدراسة افتقرت إلى بعض الوثائق الأرشيفية التي تعرض لهذا الموضوع.

١- المرحلة الأولى من العلاقات والدعم العثماني لمسلمي الأندلس

زعم الكثير من الباحثين الذين بحثوا في موضوع العلاقات العثمانية الأندلسية على أن بداية هذه العلاقات كانت في زمن لا تزال فيه دولة بني الأحمر قائمة وهذا من خلال السفارة التي أرسلها أهل الأندلس إلى إسطنبول في عهد محمد الفاتح (١٤٥١-١٤٨١م) سنة ١٤٧٧م.[٦] في حين نجد بأن الباحث بن حفري ينفي وجود ذكر لهذه السفارة ضمن الحوادث التي جرت في سنة ١٤٧٧م من عهد محمد الفاتح.[٧] وفي المقابل نجد أن المؤرخ التركي كاتب جلبي في ذكره لأحداث سنة ٨٩٢هـ يقول أنه بعدما قام بنو الأحمر بطلب العون من خلال قصيدة بعثوا بها، ويذكر هنا أيضا تحرك الأسطول العثماني بقيادة كمال ريس من أجل الهجوم على السواحل الإسبانية.[٨] ونجد بأن كاتب جلبي قد أورد تاريخ ٨٩٢هـ كتاريخ لخروج كمال ريس على رأس الأسطول العثماني باتجاه السواحل الإسبانية. إذن السؤال المطروح ما هو تاريخ قدوم السفارة الأندلسية الأولى؟ بحيث نجد أفضل الدين تكينار (Efdaleddin Tekiner) يدعي بأن هذه السفارة قدمت سنة ٨٩١هـ، لكن من دون أن يقدم أي مصدر يدعم هذا الادعاء.[٩] وبالنسبة لنا نقول أن التاريخ الصحيح لإرسال هذه السفارة هو سنة ٨٩٢هـ، فبالإضافة إلى أن كاتب جلبى قد أورد هذا التاريخ، نجد أن أمير بني الأحمر قام بإرسال سفيرين

---

(٥) انظر: رضوان، نبيل عبد الحي، **جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس واسترداده في مطلع العصر الحديث**، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

(٦) نجد أن المؤرخ التركي عزيز سامح إلتر ومن كتب بعده من الباحثين أمثال الباحث نبيل رضوان عبدالحي، قد أوردوا تاريخ بداية العلاقات بسنة ١٤٧٧م وهو تاريخ غير صحيح. أنظر: إلتر، عزيز سامح، **الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية**، تر. محمود علي عامر، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٩/١٩٨٩؛ İlter, Aziz Samih, **Şimali Afrika'da Türkler**, İstanbul 1936, s. 52 ؛ رضوان، ص.١٢٦؛ نجد أن المؤرخ عبد الجليل التميمي فيما بعد قد أورد وحدد تاريخ بداية هذه العلاقات بتاريخ ١٤٨٧م. أنظر: عبد الجليل التميمي، ص. ١١.

(7) Benafri, Chakib, **Endülüs'te Son Müslüman Kalıntısı Morisko'ların Cezayir'e Göçü Ve Osmanlı Yardımı**,Hacettepe Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü, (Basılmamış Yüksek Lisans Tezi), Ankara, 1989. s.42.

وهذه الدراسة هي عبارة عن رسالة ماجستير أنجزها الباحث الجزائري الدكتور شكيب بن حفري سنة ١٩٨٩م، وهي باللغة التركية، تحت عنوان: **هجرة الموريسكيين المسلمين أخر المتبقين في الأندلس ومساعدة العثمانيين لهم.**

(٨) جلبي، كاتب، **تقويم التواريخ**، نشر إبراهيم متفرقه، أسطنبول، ١١٤٦هـ/١٧٣٣م، ص.١١١-

Çelebi, Katip, **Takvimu't-Tevârih**, İstanbul 1146/1733, s. 111.

(C9. H1549t INSTITUTE OF ISLAMIC STUDIES- 62489, the McGILL University Library collection.)ويتواجد هذا الكتاب المخطوط بمكتبة جامعة مكغيل الكندية ويمكن الحصول عليه إلكترونيا بعد تقديم طلب لمكتبة الجامعة.

(9) Tekiner, Efdaleddin, "Bir Vesika-i Müellim", Tarih-i Encümen-i Osmanî Mecmûası (TOEM), I, 1-6 (1329/1911), s. 203.

أو رسولين في نفس السنة واحد منهم كان قد أرسله للعثمانيين والآخر كان قد أرسله للمماليك، بحيث نجد أن ابن إياس يذكر بأن تاريخ قدوم هذا السفير إلى مصر كان سنة ٨٩٢هـ.(١٠) وعندما نقوم بمقابلة سنة ٨٩٢هـ بالتاريخ الميلادي، نجد أنها تقابل سنة ١٤٨٦-١٤٨٧م وبه يكون تاريخ بداية العلاقات الأندلسية العثمانية في عهد بايزيد الثاني (١٤٨١-١٥١٢م)، وليس في عهد السلطان محمد الفاتح (١٤٥١-١٤٨١م).

فالوقت الذي وصل فيه سفير الأندلس إلى إسطنبول كانت دولة بني الأحمر غارقة في وحل الانقسام والصراع حول العرش، والأسوأ من ذلك أن ملك قشتالة أخذ يسير بجيشه من أجل القضاء على دولة المسلمين المتناحرة في الأندلس ونجح في إحتلال مدينة الحامة سنة ١٤٨٢م، ومدينة رندة سنة ١٤٨٥م، ومدينة مالقة سنة ١٤٨٧م، وأصبح على أبواب مدينة غرناطة عاصمة بني الأحمر.(١١) ففي ضل هذه الأوضاع قام آخر سلاطين بني الأحمر أبو عبد الله الصغير بإرسال السفراء والرسل إلى كل الدول والإمارات القائمة في المغرب الإسلامي كالدولة الحفصية بتونس، والدولة الزيانية بتلمسان وكذا دولة المماليك والدولة العثمانية.(١٢) ومن أجل توصيف الأوضاع المزرية التي آلت إليها الأندلس، قام الرسول الأندلسي المرسل إلى إسطنبول بقراءة قصيدة الشاعر الأندلسي المشهور أبو البقاء صالح بن شريف الرندي المتوفى سنة ١٢٨٥م، والتي يصف ويرثي فيها سقوط مدن الأندلس الواحدة تلو الأخرى كجيان، بلنسيا، قرطبة، إشبيلية وشنترين وغيرها. والتي يتحدث في مقدمتها على غدر الزمان وتغير الأحوال يقول في مطلعها:

لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يغر بطيب العيش إنسان
هي الأمور كما شاهدتها دول من سره زمن ساءته أزمان(١٣)

كما يتحدث الشاعر في هذه القصيدة عن المدن الأندلسية، التي تم احتلالها من قبل الإسبان، وما أعقبه ذلك من تحويل الجوامع إلى كنائس، وكيف حل صوت النواقيس مكان صوت الآذان. وكيف تم تفريق الأطفال عن أمهاتهم، وكيف تم بيع النساء والبنات في سوق النخاسة. ليختم هذه القصيدة بطلب الإغاثة والمدد من المسلمين إن كان في القلب إسلام وإيمان، كما يقول:

---

(١٠) ابن اياس، محمد بن أحمد، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، ج. ٢، بولاق، ١٣١١، ص. ٢٤٦.

(١١) لمزيد من المعلومات حول دولة بني الأحمر بغرناطة ومراحل سقوطها، أنظر: عنان، محمد عبد الله، **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين**، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط ٣، القاهرة، ١٩٦٦م؛ Arié, Rachel, **El Reino Nasrí de Granada**, Madrid, 1992; Baroja, J. Caro, **De Granada Los Moriscos del Reino,** Capitulo I., Madrid 1976,

(١٢) عنان، ص. ٢١٦.

(١٣) المقري التلمساني الجزائري، أحمد بن محمد ، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، مج. ٤، بيروت، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، ص ص. ٤٨٦-٤٨٧.

يـا رب أم وطفـل حيـل بينهمـا هـي كمـــا تفـــرق أرواح وأبـــدان
وطفلـة مـا رأتهـا الشـمس إذ بـرزت كأنمـــا هـــي يـــاقوت ومرجـــان
قودهـا العلـج للمكـروه مكرهـة لمثـل والعـــين باكيـــة والقلـــب حيـــران
هـــذا يـــذوب القلـــب مـــن كمـــد إن كان في القلب إسلام وإيمان[١٤]

وبحسب ما ذهب إليه المؤرخ التركي أوزون تشارشيلي (Uzuncarşılı)، بأن الأسطول العثماني في هذه الاثناء لم يكن على أتم الاستعداد من أجل الدخول في معارك مع الطرف الإسباني.[١٥] كما أن الأوضاع الداخلية المتوترة والناجمة عن الخلاف بين السلطان بايزيد الثاني وأخيه جم حول العرش والوضع الخارجي المتشنج، نتيجة الصراع مع المماليك في هذه الفترة، لم تكن تسمح للسلطان بايزيد الثاني بأن يساعد مسلمي الأندلس بشيء ملموس على أرض الواقع، هذا لا يعني عدم قيام بايزيد الثاني بأي شيء حيال أهل الأندلس، بل إن الرسالة أو القصيدة الثانية، التي أرسلها أهل الأندلس إلى بايزيد الثاني سنة ١٥٠١م، تشير إلى أن السلطان بايزيد قد أرسل إلى ملك وملكة قشتالة رسالة، يترجاهم فيها بالتراجع عن السياسة الاحتلالية تجاه مسلمي الأندلس، إلا أن هذه الرسالة لم تلقى تجاوبًا من الجانب الإسباني بحسب ما أشارت إليه القصيدة الثانية.

في حين نجد الكثير من المؤرخين والباحثين من بعدهم يوردون بأن السلطان العثماني بايزيد الثاني، قد أرسل سنة ١٤٨٧م الأسطول العثماني بقيادة البحار المشهور كمال ريس من أجل الهجوم على السواحل الإسبانية[١٦] وفي الغالب أن هذه المعلومة وبهذا التاريخ ١٤٨٧م استقوها من كتاب تقويم التواريخ لكاتبه كاتب جلبي.[١٧] لكن عندما ننظر إلى كتاب البحرية لكاتبه بيري رايس، يتبين لنا بأن البحار كمال ريس في هذا التاريخ ١٤٨٧م، لم يكن بعد قد دخل في خدمة الدولة العثمانية ويضيف بيري رايس بأن خاله كمال ريس تلقى طلبًا من السلطان بايزيد للدخول في خدمة الاسطول العثماني سنة ٩٠٠هـ/١٤٩٥م.

بحيث يقول: بأنه في يوم من الأيام جاءهم من قبل السلطان بايزيد خان الثاني أمر فرمان، بحيث يطلب في هذا الفرمان بقدوم كمال ريس إلى بابه، وبأنه كمال ريس دخل في خدمة السلطان بايزيد في سنة ٩٠٠هـ الموافق لسنة ١٤٩٥م.

---

(١٤) نفسه، ص. ٤٨٨.

(15) Uzuncarşılı, İsmail Hakkı, **Osmanlı Tarihi**, Ankara 1983, II, s. 200.

(١٦) التميمي، **الدولة العثمانية وقضية الموريسكيين...**، ص. ١١؛ إلتر، ص. ٥٢.

(١٧) انظر: جلبي، كاتب، **تقويم التواريخ**، نشر إبراهيم متفرقه، أسطنبول ١١٤٦هـ/ ١٧٣٣م، ص. ١١١.

"...Ki bir gün lutf idüben Bâyezîd Hân, Bize gönderdi geldi emr ü fermân. Buyurmuş kim Kemâl gelsin kapûma, Deniz hizmetlerin etsin tapûma. Ol emrün târîhi bu idi ey hân, Dokuz yüzde gelüben tutduk evtân...".(18)

وبالتالي إن الرأي الشائع والقائل بأنه في سنة ١٤٨٧م، قد أرسل السلطان بايزيد الثاني الأسطول العثماني لقنبلة السواحل الإسبانية هو رأي تحوم حوله الشكوك فيما يتعلق بمدى صحته. وقد تكون المساعدة التي قدمها كمال ريس لمسلمي الأندلس، جاءت وفق مبادرة فردية منه وهنا نجد أن من كتب مقدمة كتاب البحار يقول بأن البحار كمال ريس قام منذ ١٤٨٧م ولمدة سنتين بعمليات نقل لمسلمي الأندلس الموريسكيين من السواحل الإسبانية إلى السواحل الجزائرية.(١٩)

إذن فبعد تسليم مفاتيح مدينة غرناطة للإسبان، وبعد نكث الاحتلال الإسباني للعهود وخاصة تلك التي تضمنتها معاهدة تسليم غرناطة وما أعقب ذلك من تطهير ديني ومنع لحرية المسلمين من تطبيق شعائر دينهم.(٢٠) وما رافق هذا الوضع من قلة الدعم من قبل الدول الإسلامية أنذلك قام مسلمي الأندلس بإرسال المراسيل والسفارات مرة أخرى نحو الدول الإسلامية وعلى رأسها الدولة العثمانية من أجل إغاثتهم ونجدتهم. جاءت سفارة مسلمي الأندلس الموريسكيين الثانية لإسطنبول سنة ١٥٠١م لتقابل السلطان بايزيد الثاني. وقد طرحوا على مسامعه رسالة الإستغاثة المكونة في الغالب من قصيدة مكونة من مئة وخمسة أبيات مجهول كاتبها.

وقد بدأت الرسالة بمدح الدولة العثمانية والسلطان بايزيد الثاني، وبالدعاء للدولة العثمانية بدوام البقاء:

" الحضرة العلية، وصل الله سعادتها، وأعلى كلمتها، ومهد أقطارها، وأعز أنصارها، وأذل عداتها، حضرة مولانا وعمدة ديننا ودنيانا، السلطان الملك الناصر، ناصر الدنيا والدين، وسلطان الإسلام والمسلمين، قامع أعداء الله الكافرين، كهف الإسلام، وناصر دين نبينا محمد عليه السلام، محي العدل، ومنصف المظلوم ممن ظلم، ملك العرب، والعجم، والترك والديلم، ظل الله في أرضه، القائم بسنته وفرضه، ملك البرين وسلطان البحرين، حامي الذمار، وقامع الكفار، مولانا وعمدتنا، وكهفنا وغيثنا، لا زال ملكه موفور الأنصار، مقرونا بالانتصار، مخلد المآثر والآثار، مشهور المعالي والفخار، مستأثرًا من الحسنات بما يضاعف به الأجر الجزيل، في الدار الآخرة والثناء الجميل،

(18) Piri Reis, **Kitab-ı Bahriye**, ed. Ertuğrul Zekai Öteke, Kültür ve Turizm Bakanlığı Yayınları, I, Ankara, 1988, s. 55.

أنظر أيضا لمخطوط **كتاب البحرية** الأصلي المكتوب باللغة العثمانية، كما يمكن الحصول عليه بشكل إلكتروني.

(19) Kurtoğlu Fevzi, "Mukaddime", **Kitâb-ı Bahriye**, TTK, Ankara 1935, s.3.

(20) Özdemir, Mehmet, "İspanya Krallığı'nın XVI. Yüzyılda Endülüs Müslümanlarını Hıristiyanlaştırma Politikası (I) ", Ankara Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi (AÜİFD), XXXV, Ankara, 1996, s. 243-284.

والنصر في هذه الدار، ولا برحت عزماته العلية مختصة بفضائل الجهاد ومجرد على أعداء الدين من بأسها، ما يروي صدور السحر والصفاح ، وألسنة السلاح بأذلة نفائس الذخائر في المواطن التي تألف فيها الأخاير مفارقة الأرواح للأجساد، سالكة سبيل السابقين الفائزين برضا الله وطاعته يقوم الأشهاد ".(٢١)

وكانت ضمن الرسالة أبيات هذه القصيدة التي يبدأها الشاعر بالسلام على السلطان بايزيد الثاني وعلى حاشيته، وفي نفس الوقت تصف هذه الأبيات الحالة، التي يعاني منها المسلمون وما تعرض له الشيوخ والنساء من هتك للإعراض وما يتعرض له المسلمين في دينهم حيث استطرد قائلًا:

سلام كريم دائم متجدد ... أخص به مولاي خير خليفة
سلام على مولاي ذي المجد والعلا ... ومن ألبس الكفارثوب المذلة
سلام على من وسع الله ملكه ... وأيده بالنصر في كل وجهة
سلام عليكم من عبيد تخلفوا ... بأندلس بالغرب في أرض غربة
أحاط بهم بحر من الروم زاخر ... وبحر عميق ذو ظلام ولجة
سلام عليكم من عبيد أصابهم ... مصاب عظيم يا لها من مصيبة
سلام عليكم من شيوخ تمزقت ... شيوبهم بالنتف من بعد عزة
سلام عليكم من وجوه تكشفت ... على جملة الأعلاج من بعدة سترة
سلام عليكم من بنات عواتق ... يسوقهم اللباط قهرًا لخلوة
سلام عليكم من عجائز أكرهت ... على أكل خنزير ولحم لجيفة(٢٢)

ثم تعاود القصيدة الاسترسال في شرح المأساة، التي يتعرض لها مسلمي الأندلس الموريسكيين، وكيف تعرضوا لضغوطات قاسية من أجل تغيير دينهم وطمس هويتهم العربية الإسلامية وما إلى ذلك، فاستطردت القصيدة بقولها:

(٢١) المقري التلمساني الجزائري، أحمد بن محمد ، **أزهار الرياض في أخبار عياض**، تحقيق: مصطفى السقى، إبراهيم الابياري، عبد الحفيظ الإشبيلي، الجزء الأول (III)، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م، ص ص. ١٠٨-١٠٩.

(٢٢) المقري، **أزهار الرياض**...، ص ص. ١٠٩-١١٠.

شكونا لكم يا مولاي ما قد أصابنا ... من الضر والبلوى وعظم الرزية
غدرنا ونصرنا وبدل ديننا ... ظلمنا وعوملنا بكل قبيحة
فجاءت علينا الروم من كل جانب ... بسيل عظيم جملة بعد جملة
ومالوا علينا كالجراد بجمعهم ... بجد وعزم من خيول وعدة
فكنا بطول الدهر نلقى جموعهم ... فنقتل فيها فرقة بعد فرقة
وفرسانهم تزداد في كل ساعة ... وفرساننا في حال نقص وقلة
فلما ضعفنا خيموا في بلادنا ... ومالوا علينا بلدة بعد بلدة
وجاؤوا بأنفاط عظام كثيرة ... تهدم أسوار البلاد المنيعة
فلما تفانت خيلنا ورجالنا ... ولم نر من إخواننا من إغاثة[٢٣]

ثم تطرقت القصيدة عن الخيارات التي وضعها الإسبان الكاثوليك للمسلمين إما القبول بالوضع السابق ألا وهو الإضطهاد والمضايقة، أو الترحيل والتهجير، إذ استطردت قائلة:

ونبقى على آذاننا وصلاتنا ... ولا نتركن شيئًا من أمر الشريعة
ومن شاء منا الهجر جاز مؤمنًا ... بما شاء من مال إلى أرض عدوة
إلى غير ذلك من شروط كثيرة ... تزيد على الخمسين شرطًا بخمسة
فقال لنا سلطانهم وكبيرهم ... لكم ما شرطتم كاملًا بالزيادة
فكونوا على أموالكم وديياركم ... كما كنتم من قبل دون أذية[٢٤]

إلا أن الإسبان الكاثوليك لم يوفوا بتلك المواثيق والعهود، التي عقدوها مع المسلمين إذ بدأ غدرهما على الأندلسيين فذكرت القصيدة ما يلي:

(٢٣) نفسه، ص ص. ١١٠-١١١.

(٢٤) المقري، **أزهار الرياض...**، ص. ١١١.

فلمـــا دخلنـــا تحـــت عقـــد ذمـــامهم ... بـــدا غـــدرهم فينـــا بـــنقص العزيمـــة
وخـــان عهـــودًا كـــان قـــد غرنـــا بهـــا ... ونصـــرنا كرهًـــا بعنـــف وســـطوة
وكـــل كتـــاب كـــان فـــي أمـــر ديننـــا ... ففـــي النـــار ألقـــوه بهـــزء وحقـــرة
ولـــم يتركـــوا فيهـــا كتابًـــا لمســـلم ... ولا مصـــحفًا يخلـــى بـــه للقـــراءة
ومـــن صـــام أو صـــلى ويعلـــم حالـــه ... ففـــي النـــار يلقـــوه علـــى كـــل حالـــة
ومـــن لـــم يجـــئ منـــا لموضـــع كفـــرهم ... يعاقبـــه اللبـــاط شـــر العقوبـــة
ويلطـــم خديـــه ويأخـــذ مالـــه ... ويجعلـــه فـــي الســـجن فـــي ســـوء حالـــة
وفـــي رمضـــان يفســـدون صـــيامنا ... بأكـــل وشـــرب مـــرة بعـــد مـــرة[٢٥]

ثم تتقدم القصيدة باستصراخ أهل الأندلس للسلطان العثماني بايزيد الثاني من أجل تقديم يد العون والنجدة لهم ، وإنقاذهم من المحنة التي يعرضون لها، فتقول:

ســـألناك يـــا مـــولاي والله ربنـــا ... وبالمصـــطفى المختـــار خيـــر البريـــة
عســـى تنظـــروا فينـــا وفيمـــا أصـــابنا ... لعـــل إلـــه العـــرش يـــأتي برحمـــة
فقولـــك مســـموع وأمـــرك نافـــذ ... ومـــا قلـــت مـــن شـــيء يكـــون بســـرعة
فـــأنتم أولـــوا الأفضـــال والمجـــد والعـــلا ... وغـــوث عبـــاد الله فـــى كـــل آفـــة[٢٦]

ثم نجد إشارة للرسالة أو المكتوب الذي أرسل به السلطان بايزيد الثاني إلى الملكين الكاثوليكيين، ولم تتكلم القصيدة عن أن السلطان أرسل حملة أو أرسل أسطولًا بحريًا لمهاجمة السواحل الإسبانية. كما تشير هذه الأبيات للرسل الذين قام بإرسالهم مماليك مصر:

وقـــد بلـــغ المكتـــوب مـــنكم إلـــيهم ... فلـــم يعملـــوا منـــه جميعـــا بكلمـــة
وقـــد بلغـــت إرســـال مصـــر إلـــيهم ... ومـــا نـــالهم غـــدر ولا هتـــك حرمـــة
وقـــالوا لتلـــك الرســـل عنـــا بأننـــا ... رضـــينا بـــدين الكفـــر مـــن غيـــر قهـــرة
وســـاقوا عقـــود الـــزور ممـــن أطـــاعهم ... ووالله مـــا نرضـــى بتلـــك الشـــهادة[٢٧]

ليقوم بعد ذلك مسلمو الأندلس بالقول للسلطان العثماني بايزيد الثاني أنهم متمسكين بدينهم وهويتهم العربية الإسلامية، بالرغم من كل ما تعرضوا له من محن وفتن، ويؤكدون ذلك بقولهم:

---

(٢٥) نفسه، ص ص. ١١١-١١٢.
(٢٦) نفسه، ص. ١١٣.
(٢٧) المقري، **أزهار الرياض** ...، ص. ١١٤.

ووالله مـــا نرضـــى بتبـــديل ديننـــا ... ولا بالـــذي قـــالوا مـــن أمـــر الثلاثـــة
وإن زعمـــوا أنـــا رضـــينا بـــدينهم ... بغيـــر أذى مـــنهم لنـــا ومســـاءة
فسـل وحـرا عـن أهلهـا كيـف أصـبحوا ... أســـارى وقتلـــى تحـــت ذل ومهنـــة
وســـل بلفيقًـــا عـــن قضـــية أمرهـــا ... لقـد مزقـوا بالسـيف مـن بعـد حسـرة
وضـــيافة بالســـيف مـــزق أهلهـــا ... كـــذا فعلـــوا أيضًـــا بأهـــل البشـــرة
وأنـــدرش بالنـــار أحـــرق أهلهـــا ... بجـــامعهم صـــاروا جميعًـــا كفحمـــة
وديـن النصـارى أصـله تحـت حكمكـم ... ومـن ثـم يـأتيهم إلـى كـل كـورة[٢٨]

وهنا يكرر مسلمي الأندلس الموريسكيين طلب النجدة من السلطان، ويجددوا الاستغاثة بالدولة العثمانية بعد تقديم هذه الشكوى، كما تبينه هذه الأبيات من القصيدة:

فهـا نحـن يـا مـولاي نشـكو إلـيكم ... فهـذا الـذي نلنـاه مـن شـر فرقـة
عسـى ديننـا يبقـى لنـا وصـلاتنا ... كمـا عاهـدونا قبـل نقـض العزيمـة
وإلا فيجلونـا جميعًـا عـن أرضـهم ... بأموالنـا للغـرب دار الأحبـة
فإجلاؤنـا خيـر لنـا مـن مقامنـا ... على الكفر في عز على غير ملة
فهـذا الـذي نرجـوه مـن عـز جـاهكم ... ومن عندكم تقضي لنا كل حاجة
ومـن عنـدكم نرجـو زوال كروبنـا ... ومـا نالنـا مـن سـوء حـال وذلـة[٢٩]

ثم تختتم هذه القصيدة بأبيات يثني فيها مسلمي الأندلس الموريسكيين على السلطان العثماني بايزيد الثاني، ويدعون له بالخير ودوام الصحة والعزة والنصر على الأعداء:

فـــأنتم بحمـــد الله خيـــر ملوكنـــا ... وعـــزتكم تعلـــو علـــى كـــل عـــزة
فنســـأل مولانـــا دوام حيـــاتكم ... بملـــك وعـــز فـــي ســـرور ونعمـــة
وتهـــدين أوطـــان ونصـــر علـــى ... العـــدا وكثـــرة أجنـــاد ومـــال وثـــروة
وثـم سـلام الله قلتـه ورحمـة علـيكم ... مـدى الأيـام فـي كـل سـاعة[٣٠]

إذن وبعد السفارة الثانية التي أرسلها مسلمي الأندلس إلى إسطنبول، قامت الدولة العثمانية باتخاذ قرار التدخل المباشر في ما يحدث لمسلمي الأندلس. وبموجب هذا القرار تم سنة ١٥٠٥م تعيين البحار الشهير كمال

(٢٨) نفسه، ص. ١١٤.
(٢٩) نفسه، ص ص. ١١٤-١١٥.
(٣٠) المقري، **أزهار الرياض** ...، ص. ١١٥.

ريس على رأس الأسطول العثماني، وإرساله نحو البحر الأبيض المتوسط، بحيث تم خلال هذه الخرجة الهجوم على ملقة وجزر البليار، وكذلك القيام بإنقاذ ونقل الكثير من الموريسكيين نحو السواحل الجزائرية وإسطنبول.[٣١]

ولكن يوجد الكثير من الناس يتبادر إلى أذهانهم السؤال القائل لماذا لم تتدخل الدولة العثمانية في هذا التاريخ لمساعدة الأندلسيين من خلال إرسال الجيش البري؟ يمكن أن نحسب على هذا السؤال بأنه في هذه الفترة لم تكن مصر أو أي منطقة من المغرب الإسلامي تحت النفوذ والحكم العثماني. بالإضافة إلى سيطرت الإسبان على المناطق الاستراتيجية التي تربط البر الأيبيري والبر الشمال الإفريقي، بحيث كان يسيطر البرتغاليين على الكثير من المدن الساحلية كطنجة وسبتة، وكان الإسبان يسيطرون على الكثير من النقاط في السواحل الجزائرية ومن أهمها المرسى الكبير بمدينة وهران، ومنه كان التدخل البري من قبل العثمانيين في هذه الفترة شبه مستحيل.

٢- مساعدة خير الدين بربروس لمسلمي الأندلس الموريسكيين انطلاقًا من الجزائر

في الوقت الذي كان فيه كمال ريس يقدم بعض المساعدات لمسلمي الأندلس الموريسكيين، كان الاخوة بربروس،[٣٢] قد انتقلوا لسواحل الشمال الإفريقي بغرض الجهاد البحري والتخفيف عن الأزمات، التي كان يعاني منها سكان المنطقة خاصة في ضل تقهقر قوة الدول المغاربية الحاكمة آنذاك،[٣٣] والذي صاحبه ازدياد حدة التحرشات الإسبانية على السواحل الجزائرية[٣٤] وطرابلس الغرب، وغيرها من المناطق الساحلية الأخرى للمغرب الإسلامي،[٣٥] وكما هو معلوم أن الإخوة بربروس بعد أن اتخذوا من حلق الوادي التونسية قاعدة لهم،[٣٦] انتقلوا الى مدينة جيجل الجزائرية، ليتخذوها قاعدة جديدة لهم، من أجل مساعدة الأهالي الذين طلبوا مساعدتهم، وكذلك

(31) Uzuncarşılı, İsmail Hakkı, a.g.e., II, 200; Ercüment Kuran, Cezayir Türkleri'nin Endülüs Müslümanlarını Kuzey Afrika'ya Nakli ve Neticeleri", **Endülüs'ten İspanya'ya**, Ankara, 1996, s. 64.

(٣٢) للمزيد من المعلومات حول الإخوة بربروس، أنظر: **مذكرات خير الدين بربروس**، ترجمة: محمد دراج، الجزائر: شركة الأصالة للنشر والتوزيع، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م؛ **غزوات عروج وخير الدين**، نشر: نورالدين عبد القادر، الجزائر: المطبعة الثعالبية، ١٣٣٥هـ/ ١٩٣٤م.

(٣٣) أنظر : بعارسية، صباح، " أوضاع المغرب الأوسط (الجزائر) في أوائل القرن السادس عشر"، مجلة عصور جديدة، ع. ٢٤-٢٥، أكتوبر ١٤٣٨هـ/٢٠١٦م، ص ص. ١٢٠-١٤١.

(٣٤) المدني، أحمد توفيق، **حرب الثلاثمئة سنة بين الجزائر وإسبانيا ١٤٩٢-١٧٩٢م**، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع؛ فكاير، عبد القادر، الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية ٩١٠-١٢٠٦هـ/١٥٠٥-١٧٩٢م دراسة تتناول الآثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية على الجزائر، دارهومه، الجزائر، ٢٠١٢؛ بلحميسي، مولاي، الجزائر والغزو البحري في القرن السادس عشر، مجلة تاريخ وحضارة المغرب، كلية الآداب، جامعة الجزائر، العدد ٤، الجزائر، جانفي ١٩٦٨م، ص. ٨.

(٣٥) الزبيري، محمد العربي، **مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث**، المؤسسة الجزائرية للطباعة، ط.٢، الجزائر، ١٩٨٥م.

(٣٦) **مذكرات خير الدين بربروس**، ص ص. ٦١-٦٥.

مواصلة عملية الجهاد البحري ضد سفن الأعداء.[٣٧] ليقوم الإخوة بربروس بعد أن تلقوا الدعم والمساعدة من السلطان سليم الأول سنة ١٥١٦م[٣٨] بمحاولة فك الحصار عن مدينة الجزائر المفروض عليها من قبل الإسبان، الإسبان، والتي سيتخذونها فيما بعد قاعدة لهم من أجل مساعدة مسلمي الأندلس الموريسكيين بعد تحريرها من قبضة الاسبان نهائيًا.[٣٩]

ليصلوا إلى هذا الهدف سنة ١٥١٧م، ويتم اعلان عروج بربروس نفسه سلطانًا على الجزائر بعد طلب من أهلها،[٤٠] لكن عروج ريس لم يواصل على رأس سلطنته طويلًا، بحيث سرعان ما قتل على أسوار مدينة تلمسان أثناء مواجهات مع الاسبان وبتواطئ من قبل بعض أمراء بني زيان. هذا الوضع الجديد الذي نتج عن استشهاد عروج ريس كان مؤلمًا بالنسبة لأخيه خير الدين بربروس، الذي بقي وحيدًا في ضل هذا الحالة المتأزمة.[٤١] ولكي يتمكن خير الدين من وضع حد للفتن والفوضى، قام بإبلاغ أعيان أهالي الجزائر بأنه لا يستطيع مواجهة الإسبان بإمكانياته المحدودة. خاصة بعد استشهاد أشقاؤه عروج ريس واسحاق ريس نتيجة مؤامرات القادة المحليين في أجزاء مختلفة من البلاد. واقترح على أهالي مدينة الجزائر إظهار ولائهم للدولة العثمانية، ليكونوا تحت الحماية العثمانية، وقراءة الخطبة، وصك النقود باسم السلطان العثماني.[٤٢] ليقوم وجهاء وأعيان الجزائر سنة ١٥١٩م بإرسال وفد لتمثيل الجزائر وأهلها، برئاسة الشيخ أحمد ابن القاضي، كما ورد في رسالة أهالي الجزائر إلى اسطنبول.[٤٣] كما أرسل خير الدين ريس ممثلًا له اسمه حاج حسين آغا مع الوفد الجزائري.[٤٤]

---

(٣٧) غطاس، عائشة وآخرون، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر ١٩٥٤م، الجزائر، ٢٠٠٧م، ص.٢١.

(٣٨) أنظر: خيراني، صلاح، **العلاقات السياسية بين إيالة الجزائر والباب العالي (١٧٩٢-١٨٣٠م)**، أطروحة ماجستير، قسم تاريخ الشرق الأوسط السياسي والعلاقات الدولية، معهد دراسات الشرق الأوسط والدول الإسلامية، جامعة مرمرة، إسطنبول، ٢٠٢٠/٢٠٢١م، ص ص. ١٨-١٩.

Salah KHEIRANI, **CEZAYİR EYALETİ VE BABIÂLİ ARASINDAKİ SİYASİ İLİŞKİLER (1792-1830)**, Yüksek Lisans Tezi, ORTA DOĞU SİYASİ TARİHİ VE ULUSLARARASI İLİŞKİLERİ ANABİLİM DALI, ORTA DOĞU VE İSLAM ÜLKELERİ ARAŞTIRMALARI ENSTİTÜSÜ, MARMARA ÜNİVERSİTESİ, İstanbul, 2020/2021, ss. 18-190.

(٣٩) سبنسر، وليام، **الجزائر في عهد رياس البحر**، تعريب وتقديم عبد القادر زبادية، الجزائر، ١٩٨٠م، ص.٣٧.

(٤٠) غطاس، ص. ٢٣.

(٤١) **غزوات عروج وخيرالدين**، ص. ٤٤.

(٤٢) دراج، محمد، **الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس**، دار الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠١٢م، ص. ٢٢٩.

(٤٣) أنظر الوثيقة رقم ٠١: الرسالة التي بعث بها أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة ١٥١٩م، وهي مرفقة في هذا المقال.

(44) Salah kheirani, s. 19-20.

بحيث قام السلطان سليم الأول باستقبال الوفد المرسل وكرمهم بهدايا عظيمة. وفي نهاية الزيارة عين السلطان سليم الأول خير الدين ريس حاكما وبايلربايا على إيالة الجزائر، كما أرسل لخير الدين فرمان التعيين مع السيف والخلعة السلطانية.(٤٥) وتقول بعض المصادر إن السلطان سليم الأول أرسل سفينتين محملتين بالسلاح بألفي إنكشاري، وأن السلطان خول لخير الدين باشا الحق في تجنيد شباب من الأناضول للعمل في الجزائر، ومنح كل منهم امتياز الجندي الإنكشاري.(٤٦) ومع مرسوم تعيين بربروس خير الدين حاكما للجزائر برتبة بيلرباي، أصبحت الجزائر إيالة عثمانية.(٤٧) ونؤكد بأن هذا الوضع الجديد كان نتيجة للطلب المقدم من قبل أهالي الجزائر بالطريقة التي أرادوها، عبر الوفد الذي أرسل إلى اسطنبول عام ١٥١٩م برئاسة الشيخ أحمد ابن القاضي.(٤٨)

وسوف نعمل على نشر رسالة أهالي مدينة الجزائر التي استنجدوا من خلالها بالدولة العثمانية، من أجل مساعدتهم ودعمهم في وجه الخطر الإسباني الداهم، ولكي لا تلقى الجزائر وجيرانها نفس مصير الأندلس. فنشرنا لهذه الرسالة هنا هو تأكيدنا على أهميتها في فهم السياق الذي تشهده المنطقة آنذاك وعلاقة هذه الرسالة بما حدث لمسلمي الأندلس الموريسكيين. كما قمت بترجمة هذه الوثيقة – مع العلم بقيام الدكتور التميمي بترجمتها من قبل– من أجل إعطاء نفس جديد لهذا الموضوع خاصة مع اتقاننا اللغة التركية العثمانية والتركية الحديثة.

(٤٥) أنظر: **مذكرات خير الدين**، ص. ٦٩؛ إيفانوف، نيقولاي، **الفتح العثماني للأقطار العربية (١٥١٦-١٥٧٤م)**، تر: يوسف عطاء الله، دار الفارابي، بيروت، ١٩٨٨م، ص.١٠٥؛ Feridun Bilgin, "Mekân ve İnsan: Gelibolu ve Barbaros Hayreddin Paşa (Osmanlı Devleti'nin Akdeniz Hâkimiyeti)", **Çanakkale Araştırmaları Türk Yıllığı**, YIL 11, Bahar 2013, S. 14, s. 22-23.

(٤٦) الحسن، عيسى، **تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية الى نهاية الدولة العثمانية**، الأهلية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص ص. ٥١٢-٥١٣.

(47) Kılıç, Orhan, "Beylerbeyilerden Dayılara Cezayir-i Garp Vilayeti/Eyaleti'nin Yönetimi ve Yöneticileri", **Cappadocia Journal of History and Social Sciences**, V. 9, October -2017, s. 421.

(٤٨) وهذه الإرادة تبينها الرسالة التي أرسلها أهالي الجزائر إلى السلطان سليم الأول، أنظر الوثيقة رقم ٠١.

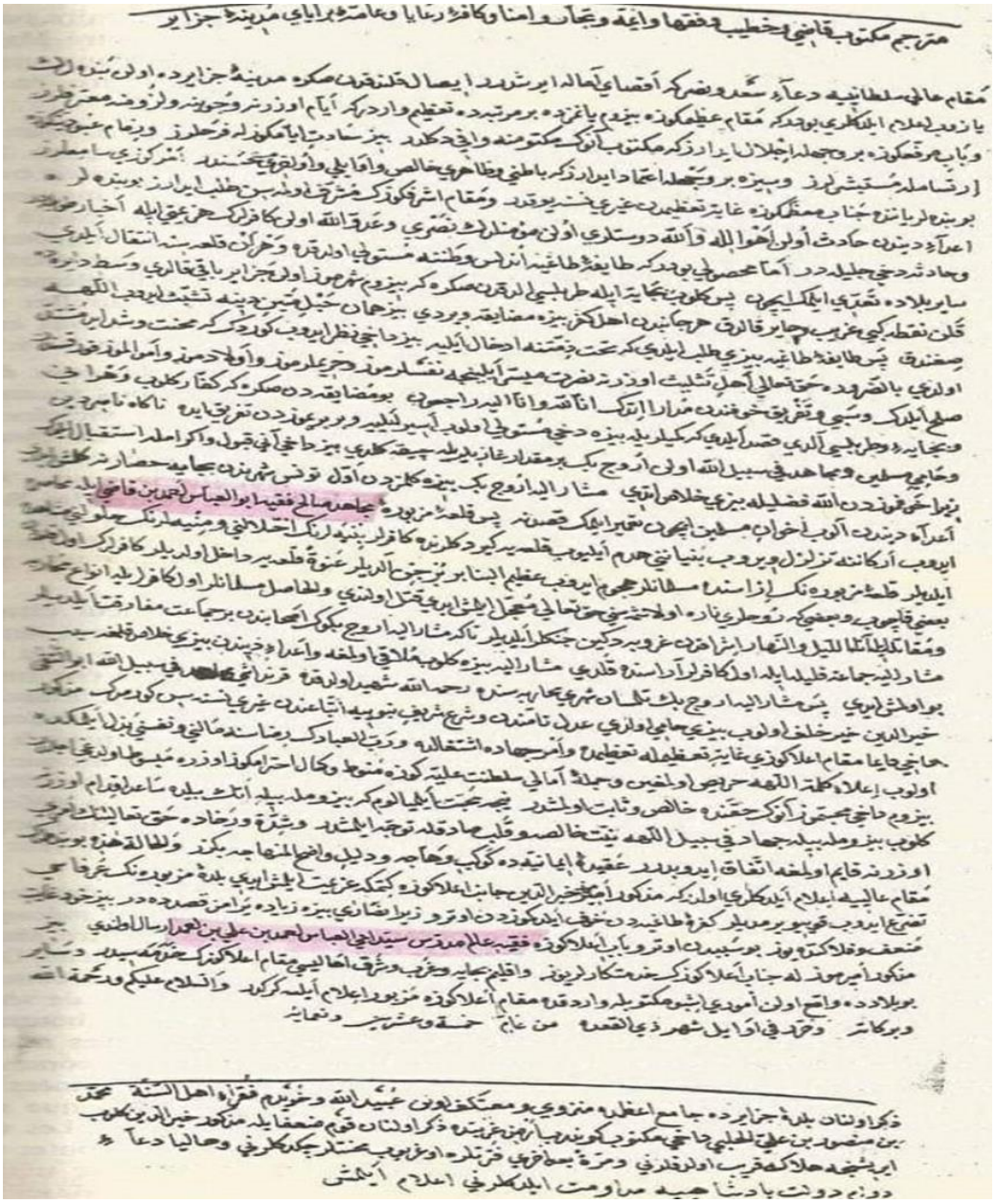

الوثيقة رقم ١: تمثل هذه الوثيقة ترجمة باللغة العثمانية لرسالة أهالي الجزائر الى السلطان العثماني سليم الثاني سنة ١٥١٩م، يطلبون فيها الدعم وقبول دخول الجزائر تحت راية الدولة العثمانية.

المصدر: الأرشيف العثماني بإسطنبول تحت هذا الرمز

BOA., TS.MA.E, Kutu No. 0757, Gömlek No. 0063.

ترجمة الوثيقة الى اللغة العربية:

من أجل ترجمة هذه الوثيقة قمت أولا بتحويل الرسالة من اللغة التركية العثمانية إلى اللغة التركية الحديثة، وبهذا يستطيع أن يستفيد منها الباحثين الاتراك والعرب.

تحويل النص للغة التركية الحديثة:

"Cezayir'deki Kadı, Alimler, İmamlar, Hatipler, Tüccarlar, Eminler ve bütün re'ayânın Sultan'a mektubudur.

Sultanımızın yüce makamına zafer ve saadet dualarımızı takdim ettikten sonra Cezayir'de olan biz bendeleri size yazıp i'lan ediyoruz ki: Sizin, bizim yanımızda büyük bir mertebeniz vardır. Gün geçtikçe size ta'zimin vücubuna ve lüzumuna daha çok inanıyoruz. Biz tazimlerimizi size arzetmek istiyoruz ki, mektup onun ifadesine kâfi değildir. Biz, saadetinizle sevinçliyiz. Size öyle itimat ediyoruz ki, güvenimizin içi, dışı, evveli ve ahiri güzel olacağınıza inanıyoruz. Emrinize hazırız. Bu bendelerinizin size hürmetten başka şeyleri yoktur. Şerefli makamınızın devamını istiyoruz. Bu bendelerinizin Allah düşmanlarının yaptıkları zulümler ve Allah dostu olan mü'minlerin yardımları ile ilgili haberleri uzundur. Ancak özeti şudur ki:

Azgın kafirler Endülüs'ü istila ettikten sonra Vehrân kalesine geldiler. Diğer müslüman beldelere tecavüz için Becaye ile Trablus'u aldılar. Sadece bizim diyarımız olan Cezayir kaldı. Daire ortasında kalan nokta gibi, garip ve şaşkın kaldık. Her taraftan kâfirler bizi sıkıştırdı. Biz de Habl-i Metin olan dinimize sarılıp Allah'a sığındık. Kâfirler bizi hakimiyetleri altına almak istediler. Biz de baktık gördük ki, başka çâremiz yok. Ehl-i teslise mal, çoluk-çocuk perişan olmasın diye itaat ettik. Bu sıkıntıdan sonra kâfirler geldi; Vehran'ı, Becâye'yi ve Trablus'u aldı. Gemilerle bizi esir almaya uğraştılar. İşte bu sırada büyük mücahit Oruç Bey, bir miktar gazilerle çıkageldiler. Biz de onu karşıladık. Ve "Allah'ın fazlıdır" dedik. Bizi kurtardı. Daha önce Becaya kalesine gelmiş orayı almış ve mücahit Fakih Ebül-Abbas Ahmed bin Kadı ile kurtarmışdı. Kâfirlerin bir kısmı kaçtı ve bir kısmı da

öldürüldü. Müslümanlar galip oldular. Sonra Oruç Bey oradan ayrılıp bizim imdadımıza koşmuştu. Oruç Bey, Telmesan savaşında şehid olunca kardeşi mücahit Hayreddin ona hayr'ul halef oldu. Tam adaleti ve Şer-i Şerife ittibaından başka bir şeyi görmedik. Bize hâmi oldu. Mezkur, size de çok ta'zim etmekte, cihadı asıl vazife bilmekte ve her şeyini Allah yolunda feda etmektedir. Kendisini ilâyi kelimetullah'a adamıştır. Bütün gayesi size hürmet ve itaat olduğundan biz de onu sevdik. Nasıl sevmeyelim ki, bizimle birlikte cihad için at koşturmaktadır.

Bu sebeple yüce makamınıza arzumuz şudur ki; Emirimiz Hayreddin size dönmek istiyordu. Buranın ileri gelenleri bırakmadılar; "Hristiyanlardan korkarız" dediler. Bu sebeple size elçimiz olarak Fakih Ebül-Abbas Ahmed gönderildi. Biz emirimizle beraber sizin hizmetinizdeyiz. Diğer hususları mektubu getiren size arzedecektir. 1-10 Zilkade 925 (Ekim 1519)".

الترجمة العربية للوثيقة التي بين أيدينا:

" هذه ترجمة للمكتوب الصادر من قبل القاضي و الخطيب والفقهاء والأئمة والتجار والأمناء وكل الرعايا والعامة في مدينة الجزائر.

بعد تقديم دعواتنا بالنصر والسعادة إلى مقام سلطاننا العالي، نكتب إليكم نحن الموجودين في الجزائر ونعلن: لكم بيننا وفي قلوبنا مرتبة كبيرة. ومع مرور كل يوم، نؤمن أكثر فأكثر بقوة وضرورة التعظيم والتبجيل تجاهكم. ونحن نود أن نعرب تعظيمنا لكم إلا أن الرسالة لا تكفي للتعبير عنه. نحن سعداء بسعادتك. نحن نثق بك كثيرًا لدرجة أننا نؤمن أنك ستكون مسرورًا لإخلاصنا الباطني والظاهري أولًا وآخرًا. نحن جاهزون لطاعة أوامركم. وإن أتباعكم -يقصد خير الدين بربروس والمجاهدين الذين معه – هم منكم ليس لديهم سوى الاحترام والتبجيل لكم. نريد الدوام لمقامكم الشريفة. وإن بطولات هؤلاء الناس الأبطال في الوقوف في وجه الكفار أعداء الله، ونصرة المؤمنين أحباب الله يطول الحديث حولها. لكن الخلاصة هي كالتالي:

بعد أن اجتاح الكفار الأندلس، وصلوا إلى حصن وهران. ومن أجل الاعتداء على أراضي المسلمين الأخرى قاموا بالاستيلاء على بجاية وطرابلس. ولم تبقى سوى مدينتنا الجزائر التي أصبحت كالنقطة في منتصف الدائرة، وأصبحنا نحن بدورنا حيرانين مندهشين. ضغط علينا الكفار من جميع الجهات. لكن بالرغم من هذا كله بقينا متمسكين بديننا الذي يمثل حبل الله المتين وملتجئين إلى الله. وقد أراد الكفار أن يسيطروا ويبسطوا حكمهم علينا. إلا أننا نظرنا ورأينا أنه ليس لدينا خيار آخر. وقمنا بتقديم الطاعة لأهل التثليث وتصالحنا معهم

حتى لا يهلك الحرث والنسل وخوفًا من السبي والتفريق إنا لله وإنا إليه راجعون. وبعد هذه التحرشات والمضايقات جاء الكفار واستولوا على وهران وبجاية وطرابلس محاولين الإستيلاء على ديارنا وأخذنا كأسرى بالسفن وتفريق شملنا.

عندئذ، جاءنا ناصر الدين وحامي المسلمين و المجاهد في سبيل الله عروج بك رفقة بعض المجاهدين. وقمنا نحن بدورنا استقبلناه بالقبول والإكرام. وقلنا: إن هذا من فضل ربنا الذي أنقذنا. والمشار إليه عروج بك قبل أن يأتينا كان قد خرج من تونس نحو قلعة بجاية هذه الأخيرة ومن أجل التي افتكاكها من أعداء الدين واستردادها لإخوته المسلمين قام معية المجاهد الصالح الفقيه أبو العباس أحمد بن القاضي بحصار القلعة المذكورة آنفًا وزلزلة أركانها وهدم بنيانها. وعندما شاهد الكفار كيف أن المسلمون يهاجمون ويقتحمون القلعة تملكهم الرعب وأدركوا قرب أجلهم فمنهم من قام بالفرار ومنهم من قتل، وبعد قتال طويل أناء الليل واطراف النهار ومن شروق الشمس إلى غروبها انتصر المسلمون.

ثم غادر عروج بك من هناك وجاء مسرعًا من أجل إمدادنا ومساعدتنا. وعندما استشهد عروج بك في معركة تلمسان، أصبح شقيقه المجاهد في سبيل الله أبو التقى خير الدين خير خلف له. وأصبح حاميا لنا ولم نرَ منه غير العدل التام والالتزام بالشرع النبوي الشريف. وإن غايته تعظيم مقامكم العالي، ويعتبر الجهاد واجبه الأساسي، ويضحي بكل شيء في سبيل ومن أجل إعلاء كلمة الله. لقد أحببناه لأن هدفه كله كان احترامك وطاعتك. كيف لا نحبه، وهو يركض معنا للجهاد في سبيل الله بنية خالصة وقلب صادق. وهو على ثبات معنا في الشدة والرخاء من أجل إعلاء كلمة الله.

ونريد أن نبلغكم بأن أميرنا خير الدين كان يريد أن يعود رغبتنا لسلطتك العليا هي: أراد أميرنا خير الدين أن يعود ويأتي إليك ليخبرك عن الوضع بنفسه. إلا أن أعيان الجزائر ترجوه في أن يعدل عن قرار الذهاب؛ وقالوا له إنهم يخشون من عودة النصارى. ولهذا السبب أرسل إلى مقامكم العالي الفقيه العالم المدرس السيد أبي العباس أحمد بن علي بن أحمد ونحن وأميرنا وأهالي إقليم بجاية والغرب والشرق في خدمة مقامكم العالي. بأن المذكور أعلاه حامل المكتوب سوف يقدم لكم عرضًا مفصلًا عن سائر الأمور الحاصلة بالبلاد والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وحرر في أوائل شهر ذي القعدة من عام خمسة وعشرون وتسعمائة. (أكتوبر ١٥١٩م)".

فمن خلال رسالة أهالي مدينة الجزائر إلى الدولة العثمانية من أجل طلب العون والحماية نجد أن من بين الأسباب، التي كانت وراء إرسالهم لهذه الرسالة هو التحرشات الإسبانية على المدن الساحلية الجزائرية، وما رافقه من حالة الضعف السياسي والعسكري في منطقة المغرب الإسلامي، كما نجد تخوفهم من الوقوع غي نفس مصير مسلمي الأندلس الموريسكيين جراء الاحتلال الإسباني وسقوط أخر معاقلهم غرناطة، فنجد إذن أن الرسالة التي أرسلت بتوصيات من خير الدين قد عرجت على المصير المجهول الذي ينتظر الأندلسيين وأنها تترجم هموم الأندلسيين بشكل أو بآخر.

بحيث ستكون من بين أهم أنشطة خير الدين بربروس وإلى غاية سنة ١٥٣٣م تاريخ استدعاءه إلى اسطنبول، تنظيم رحلات بحرية استكشافية واستطلاعية واحدة تلو الأخرى إلى السواحل الإسبانية من أجل إنقاذ ما يمكنه إنقاذه من مسلمي الأندلس الموريسكيين. بينما كان يضايق الدولة الإسبانية بهجومه على سواحلها بهذه الطريقة. ومن ناحية أخرى، كان يقوم بنقل العديد من مسلمي الأندلس الموريسكيين إلى سواحل شمال إفريقيا وخاصة السواحل الجزائرية منها على متن السفن. فعلى سبيل المثال، نجد قيام أسطول جزائري مكون من (٣٦) سفينة تم إرساله إلى السواحل الإسبانية عام ١٥٢٩م بسبع رحلات ونقل حوالي (٧٠) ألف موريسكي إلى الجزائر.[٤٩] كما نجد أن الرسالة التي بعث بها مسلمو الأندلس الموريسكيين إلى السلطان سليمان القانوني سنة ١٥٤١م تشيد وبكل فخر بالخدمات التي قدمها خير الدين بربروس للموريسكيين، والتي تمثلت في إنقاذهم ونقلهم وتوطينهم في المدن الساحلية الجزائرية، والتي ذكروا منها على سبيل المثال مدن شرشال وبرشك وتلمسان. وكيف سعى خير الدين بربروس جاهدًا من أجل توفير الأمان لهم، من خلال تشجيعهم على التعمير والاستقرار على طول الشريط الساحلي الجزائري.[٥٠]

(49) Çelebi. Katip, **Tuhfetu'l-Kibâr**, Matba-i Amire, İstanbul, 1141, s. 18;
جلبي، كاتب، تحفة الكبار في أسفار البحار، تحقيق وترجمة: محمد حرب، تسنيم حرب، دار البشير للثقافة والعلوم، ٢٠١٦م، القاهرة، ص. ٩٩.

(٥٠) أنظر الوثيقة رقم ٠٢: رسالة مسلمي الأندلس الموريسكيين إلى السلطان سليمان القانوني سنة ١٥٤١م.

٣- رسالة مسلمي الأندلس الموريسكيين إلى السلطان سليمان القانوني سنة ١٥٤١م

فبعد كل الإنجازات والنجاحات الباهرة، التي قام خير الدين بربروس باشا بتحقيقها تم استدعاءه إلى عاصمة الدولة العثمانية إسطنبول من قبل السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠-١٥٦٦م)، وهذا بتاريخ ٢٨ ديسمبر ١٥٣٣م/ ١١ جمادى الأخر ٩٤٠هـ. وبعد مجيئه بوقت قصير وتحديد بتاريخ ٦ أفريل ١٥٣٤م، تم تعيينه في منصب قبودان دريا أي في منصب أميرال البحرية العثمانية، وهذا بالإضافة لبقائه بايلربايا على جزائر بحر سفيد (Cezâyir-i Bahr-i Sefîd) والمقصود بها هنا جزائر البحر الأبيض.(٥١) وبعبارة أخرى نستطيع القول بأنه أعطيت له مهمة إدارة وتسيير الاسطول العثماني.

ومع تعيين خير الدين بربروس باشا في منصب قبودان دريا أخذت البحرية العثمانية تسير بخطى متسارعة نحو الإزدهار والتطور. تمثلت هذه الخطى في قيام خير الدين باشا بفتح تلك الجزر الخاضعة لسيطرة البنادقة والواقعة في جنوب بحر إيجة، والتي كانت تمثل أهمية كبرى من ناحية تأمينها لجزء من الحدود العثمانية. كما كان خير الدين باشا على رأس الأسطول العثماني، الذي ألحق الهزائم بالأسطول الصليبي بقيادة أندريا دوريا في معركة بروزة (Preveze) بتاريخ ٢٥ سبتمبر- أيلول ١٥٣٨م.(٥٢) كما أنه وبموجب الاتفاق العثماني الفرنسي قام خير الدين باشا بالرسو

---

(٥١) **جزائر بحر سفيد (Cezâyir-i Bahr-i Sefîd)**: تم إجراء هذا الترتيب الإداري الجديد بعد تعيين بارباروس خير الدين باشا أميرالًا للبحرية. وفي عام ١٥٣٣م، تم إنشاء بايلربايليك الجزائر التي تعنى بإدارة كل من منطقة شمال إفريقيا وجزر بحر إيجة. بحيثُ تركت المداخيل المالية الخاصة بهذه المناطق لبربروس خير الدين باشا كقبطان باشا. وربما بعد وفاته، بدأ استخدام المصطلحين "جزير الغرب" و"جزير بحر سفيد" بشكل منفصل.

أما في القوائم الأرشيفية المؤرخة للفترة ما بين ١٥٦٨-١٥٧٤م، يتبين أن مقاطعة جزاير بحر سفيد أو إيالة الكبودان باشا كانت مقسمة إلى سبع وحدات إدارية تألفت من جاليبولي، اغريبوز، كارلي-إلي، إينبهتي، رودس، ليسبوس، سكيز وجزاير المغرب. ووفقًا للقوائم اللاحقة، لم يتم ذكر جزاير المغرب أو الغرب (Cezâyir-i Magrib) وجزر ميدللي (Midilli) وسكيز Sakız ضمن الإيالة، لكن بقيت الجزائر وكأنها تخضع للإدارة الشرفية لأمراء الأساطيل البحرية ضمن هذه الإيالة البحرية ونستطيع أن نقول أنه بعد الحكم شبه المستقل للدايات كان القبودان باشا فيما يتعلق بإيالة الجزائر، هو الوسيط في الكثير من الأحيان في تلك المراسلات الحاصلة بين إيالة الجزائر والباب العالي. للمزيد أكثر أنظر:

Şakiroğlu, Mahmut H., Cezâyir-i Bahr-i Sefîd, **TDV İslâm Ansiklopedisi**, c.7, İstanbul, 1993 , ss. 500-501.

(٥٢) أنظر:

بالأسطول العثماني الذي كان تحت قيادته بمدينة مرسيليا. لتصل البحرية العثمانية إلى ذروة قوتها وتميزها بفضل قيادة خير الدين باشا لها.(٥٣)

ففي الوقت الذي كانت فيه هذه الإنجازات تحقق من قبل خير الدين باشا، وصلت رسالة جديدة من مسلمي الأندلس الموريسكيين إلى اسطنبول. ويُفهم من هذه الرسالة، التي يُرجح أنها كتبت من قبل الموريسكيين الذين هاجروا إلى الجزائر، أنه في الوقت الذي كان فيه مجيئ خير الدين باربا‌روس إلى اسطنبول مكسبًا كبيرًا للبحرية العثمانية، فقد كان أيضًا خسارة كبيرة لمسلمي الأندلس الموريسكيين الذين بقوا حسبهم بغير قائد يدافع عنهم. وبالتالي نجد بأنهم في هذه الرسالة لم يطالبوا بشيء عدى مطالبتهم بإعادة إرسال خير الدين باشا إلى الجزائر.

أما مضمون هذه الرسالة التي كتبت باللغة العربية، فبعد مدح السلطان سليمان القانوني وذكر خدماته كخليفة للمسلمين، للإسلام والمسلمين أسوة بسابقيه، ذكرت الرسالة بأن إجمالي عدد الأندلسيين المقيمين في إسبانيا آنذاك بلغ حوالي (٣٦٤) ألف نسمة خمسون بالمئة منهم تتكون من الشرفاء المقيمين في مدينة غرناطة وما جاورها، لتقوم الرسالة بسرد الظلم والتسلط الذي يتعرضون له كمسلمين. لتذكر أن الكفار يرهبونهم ويعذبونهم ويرمونهم بالنار من أجل إحراقهم. وبأن الأعداء قد أحاطوا بهم من جميع الجوانب الأربعة. وبأنهم تعرضوا للاضطهاد والأذى. لتستمر الرسالة في عرض الوضع الذي يعيشه مسلمي الأندلس الموريسكيين، ويقدمون تذمرهم وشكواهم بحق حكام المغرب في فاس ومراكش السعديين والوطاسيين. لأنهم جعلوا غشاء على آذانهم وأداروا ظهورهم لنداءات مسلمي الأندلس الموريسكيين المستنجدة بهم، وبأنهم لم يقدموا العون الذي تفرضه أخوة الدين بحسب ما أوردته الرسالة. لتنتقل الرسالة بعد ذلك في ذكر المجاهد في سبيل الله خير الدين بربروس بكثير من الثناء والتقدير وأنه كان دائما بجانبهم في محنتهم أثناء تواجده بالجزائر، علم بالمحنة التي كنا فيها. وأنهم لما طلبوا منه مساعدتهم لبى ندائهم. وأنه بفضل مساعدته، تم إنقاذ العديد من المسلمين من أيدي الكفار واستقروا في أراض الإسلام الجزائر وخاصة في مدينة شرشال

Bostan, İdris "PREVEZE DENİZ MUHAREBESİ", **TDV İslam Ensiklopidisi**, c.34, 2007, s.343-345 ; **PREVEZE DENİZ ZAFERİ BARBAROS HAYREDDİN PAŞA ANISINA**, TC. İLETİŞİM BAKANLIĞI.

(53) Emecan, Feridun, "Kanunî Sultan Süleyman Devri", **Doğuştan Günümüze Büyük İslâm Tarihi**, İstanbul, 1992.

وبرشك وتلمسان. ونجد في الجزء الأخير من هذه الرسالة، طلب مسلمي الأندلس الموريسكيين من السلطان مساعدتهم، وذلك بأن يقوم بإرسال خير الدين بربروس باشا إلى الجزائر مرة أخرى.(٥٤)

- أنظر **الوثيقة رقم ٠٢**: الرسالة التي بعث بها مسلمي الأندلس للسلطان العثماني سليمان القانوني

(٥٤) أنظر: الوثيقة رقم ٠٢ – الرسالة التي بعث بها مسلمي الأندلس للسلطان العثماني سليمان القانوني، المصدر: الأرشيف العثماني .TS.MA.E, Kutu No. 0576, Gömlek No. 0035؛ للاطلاع أكثر حول هذه الرسالة. أنظر: التميمي، ص ص. ٣٤–٣٨.

وفي ضل رسالة مسلمي الأندلس الموريسكيين هذه يتبادر إلى أذهاننا تساؤل مفاده، كيف كانت استجابة السلطان سليمان القانوني لنداء المساعدة هذا؟ فإذا كنا سننظر إلى تصريحات أسرار Asrar العاطفية نوعا ما، والتي جاءت في إطار أطروحة دكتوراه يدرس فيها السياسة الدينية للإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها مع العالم الإسلامي في فترة سليمان القانوني، والتي يقول فيها: "*... بأنه في الوقت الذي كانت فيه قوة الدولة العثمانية في الذروة وفي الوقت الذي تربعت فيه على مركز قيادة المسلمين، وفي الوقت الذي كان يعتقد فيه كل المسلمين بأن الدولة العثمانية هي الحامي والمدافع عنهم، لم تضطلع بدورها كما يجب وتركت مسلمي الأندلس العرب يواجهون مصيرهم بمفردهم...*". [٥٥] ويواصل أسرار (Asrar)، مع التركيز على الاحتمالات والإمكانيات لما كان يمكن أن تفعله الدولة العثمانية ليسرد بدائل مختلفة. ومن هذه البدائل التي طرحها، أنه كان بإمكان الدولة العثمانية أن تتدخل في إسبانيا بقوتها البحرية، وإلا فإنه كان بإمكانها التهديد باعتبار المسيحيين الخاضعين لحكمها رهائن لديها وأنه في حال عدم السماح لمسلمي الأندلس الموريسكيين بالمرور بأمان الى الجزائر ودول المغرب، ستقوم بتطبيق نفس الضغوط على عليهم كتلك التي تمارس على الموريسكيين. فبعد سرد هذه الاحتمالات، يختتم أسرار هذا الموضوع بالجملة التالية: "*...لكن لم يتم فعل شيء حيال هذه المسألة. وبالتالي، فإن هذه اللامبالاة تشكل أحد أكبر الأخطاء التي لا تُنسى في السياسة الدينية الخارجية في عهد السلطان سليمان القانوني*". [٥٦]

وبحسب ما تكشفه المعطيات التاريخية أنه لم يكن من الممكن تقديم أي مساعدة جادة لمسلمي الأندلس الموريسكيين خلال فترة السلطان سليمان القانوني، وربما يؤكد ذلك ولو بشكل جزئي الباحث التركي أسرار (Asrar). ومع ذلك، لا ينبغي فهم حقيقة عدم إمكانية تقديم هذه المساعدة على أن سليمان القانوني كان غير مبالٍ تمامًا بقضية الموريسكيين. فمن خلال تتبع مجريات الأحداث يتبين لنا بأن السلطان سليمان القانوني كان قد اتبع استراتيجية مختلفة في هذا الصدد. وكانت إحدى ركائز هذه الاستراتيجية هي سياسة الضغط على إسبانيا بالتعاون مع حليفته فرنسا. ووفقًا لما أكده الباحث الجزائري بن حفري، هذا الأخير الذي ركز بشكل معمق على العلاقات العثمانية–الأندلسية الموريسكية في أطروحته، بحيث يشير إلى تعاون السلطان سليمان القانوني –الذي لم يكن قادرًا على تقديم أي مساعدة مباشرة إلى الموريسكيين لأنه كان مشغولًا

(55) Asrar, Nasir Ahmed, **Kanunî Süleyman Devrinde Osmanlı Devletinin Dinî Siyaseti ve İslam Âlemi (1520-1566)**, Doktora Tezi, İstanbul Üniversitesi Edebiyat Fakültesi, İstanbul, 1971, s.286.

(56) Asrar, s. 286.

بالبعثة المجرية بين ١٥٤١م و ١٥٤٣م- مع فرنسا سنة ١٥٤٣م، وهذا بإرساله لخير الدين بربروس من أجل الهجوم على المدن والقلاع التابعة لإسبانيا وإيطاليا. خير الدين بربروس، الذي غادر اسطنبول في ٢٨ مايو ١٥٤٣م بأسطول مكون من (١١٠) سفينة؛ بعد أن ضرب مدنًا إيطالية مثل ميسينا وريجيو وأوستيا، انضم إلى الأسطول الفرنسي في مرسيليا. ويبدو أن هدف بربروس كان الاتجاه جنوبًا من هنا لمباغتة الاسبان وتشتيت قواهم وبالتالي تخفيف الضغط عن الموريسكيين. إلا أن توقيع فرنسا لاتفاقية مع إسبانيا سرعان ما حال دون وصول بربروس إلى هذا الهدف واضطرت البحرية العثمانية إلى العودة.(٥٧) في حين نجد بأنه بعد حوالي خمسة عشر عامًا، وبالتحديد في عام ١٥٥٨م، شنت البحرية العثمانية، جنبًا إلى جنب مع البحرية الفرنسية، حملة ضد الإسبان في البحر الأبيض المتوسط ووصلت إلى جزر البليار (مايوركا ومينوركا).(٥٨) ومن المحتمل أن العثمانيين وخلال حملاتهم البحرية هذه قد قاموا بإنقاذ الكثير من مسلمي الأندلس الموريسكيين.

في حين نجد أن الركيزة الأخرى لاستراتيجية سليمان القانوني كانت قائمة على سياسة السيطرة وبسط النفوذ على منطقة المغرب العربي والبحر الأبيض المتوسط، وبالتالي تسهيل التدخل في إسبانيا. وعلى الرغم من أن الباحث أسرار (Asrar) يتحدث عن إمكانية قيام العثمانيين بإرسال حملة بحرية مباشرة تجاه إسبانيا لإنقاذ مسلمي الأندلس الموريسكيين، إلا أنه بالنظر في توازن القوى في البحر الأبيض المتوسط في عهد السلطان سليمان القانوني ندرك بأن فرص تحقق ونجاح هذا الاحتمال كانت ضئيلة جدًا. لأنه في هذه الفترة، لم يتمكن العثمانيون من بسط نفوذهم في منطقة المغرب العربي إلا على الجزائر فقط. بحيث لم تتمكن طرابلس الغرب من الانضمام إلى الهيمنة العثمانية إلا في عام ١٥٥١م، أي بعد عشر سنوات من الرسالة الذي أرسلها مسلمي الأندلس إلى سليمان القانوني. كما أن تونس، التي لها أهمية استراتيجية، كانت في هذه الفترة تقبع تحت الاحتلال الإسباني منذ عام ١٥٣٥م. أما بالنسبة للمسؤولين وبعض السلالات الحاكمة في المغرب الأقصى بفاس ومراكش ففضلوا أن يكونوا أصدقاء مع الإسبان من أجل الحفاظ على سلطتهم وحكمهم على هذه المناطق.(٥٩) أما الجزر الواقعة في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط مثل جربة، مالطة، كورسيكا، مايوركا ومينورقة والتي كانت تمثل قواعد بحرية مهمة كانت هي الأخيرة تحت سيطرة الاحتلال الإسباني بشكل مباشر أو غير مباشر. كما أن هناك نقطة

(57) Benafri, s. 54

(58) Uzunçarşılı, II, s. 383; Emecan, X, s. 358.

(٥٩) أنظر: عنان، محمد عبد الله، **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين**، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط.٣، القاهرة، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م، ص. ٣٨٥.

مهمة أخرى لا ينبغي إغفالها، وهي أن البحرية العثمانية وفي هذه الفترة بالذات لم يكن عليها أن تعمل فقط في البحر الأبيض المتوسط، ولكن كذلك في البحر الأحمر والخليج العربي وبحر العرب والمحيط الهندي من أجل التصدي للهجمات والتحرشات البرتغالية.(٦٠)

بينما كان للبحرية الإسبانية مثل هذا الثقل في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، وفي الوقت الذي لم يتم فيه القضاء على المخاطر والتهديدات البرتغالية، فإن إرسال البحرية العثمانية مباشرة إلى إسبانيا لم يكن يعني شيئًا سوى الشروع في مغامرة بنتائج غير متوقعة. ومع ذلك، كان المسؤولون العثمانيون من ذوي الخبرة بحيث لم يتمكنوا من وضع الدولة في مثل هذه المغامرة. ولهذا السبب، فالدولة العثمانية بدلًا من شنها حملة عسكرية مباشرة في على إسبانيا من أجل إنقاذ ومساعدة الموريسكيين، كان هدفها هو الضغط على إسبانيا، والتحالف مع فرنسا من أجل السماح لمسلمي الأندلس بالهجرة نحو شمال إفريقيا.

ومن ناحية أخرى، ففي عهد سليمان القانوني، لم تتوقف جهود نقل الموريسكيين سواء إلى المغرب العربي أو إلى غيره من أراضي الدولة العثمانية. بحيث قام البحارة العثمانيون مثل تورغوت ريس وبيالي ريس وصالح ريس إنطلاقًا من الجزائر بتنظيم العديد من الحملات العسكرية ضد إسبانيا، وقاموا من خلالها بنقل العديد من مسلمي الأندلس الموريسكيين إلى الأراضي العثمانية، وهذا بالتعاون مع الموريسكيين الذين شاركوا في أنشطة الجهاد البحري.(٦١)

٤- دعم إيالة الجزائر العثمانية لثورة البشرات بالأندلس (١٥٦٨-١٥٧١م)

كان للضغوطات الممارسة على الموريسكيين الأثر الكبير في اندلاع ثورة البشرات، ومن أهم هذه الضغوطات والاستفزازات هو ما قام به الملك الإسباني فيليب الثاني من إصدار عدة مراسيم تكرس مبدأ إبعاد مسلمي الأندلس الموريسكيين عن دينهم، مثل منع الطهارة على المسلمين، وهدم الحمامات، والتعرض لحرم النساء المسلمات وأعراضهم. كل هذه الإستفزازات كانت من بين أهم العوامل التي أدت لقيام هذه الثورة، بحيث اختار مسلمي الأندلس الموريسكيين من جبال البشرات الوعرة التضاريس منطلقًا لثورتهم التي كانوا يخططون لها. وبالإضافة للعوامل التي

(٦٠) أنظر:

Özbaran, Salih, "Osmanlı İmparatorluğu ve Hindistan Yolu", **TD.**, S. 31, 1978, ss. 131-141; Özbaran, Salih, "16. Yüzyılda Basra Körfezi Sahillerinde Osmanlılar: Basra Beylerbeyliğinin Kuruluşu", **TD.**, S.25, 1971, ss. 51-72.

(61) Lea, Charles H., **A History of the Inquisition in Spain**, New York, 1906, p. 363.

ذكرناها آنفًا كان للظروف الداخلية والخارجية لإسبانيا دورًا هامًا بالدفع نحو اندلاع ثورة البشرات، والتي استمرت لما يقارب ثلاث سنين (١٥٦٨-١٥٧١م).(٦٢)

ومن أجل مواصلة مسلمي الأندلس الموريسكيين لثورتهم هذه، قاموا بطلب العون من بلاد المغرب ومن العثمانيين، ففي الوقت الذي لم يقدم فيه سلطان المغرب الأقصى المنصور الثاني السعدي المساعدة لمسلمي الأندلس الموريسكيين عبر خذلانهم بعد أن وعدهم قبل ذلك بمد يد العون لهم.(٦٣) وجدوا بالجزائر خير معين لهم ألا وهو البايلرباي قلج علي، الذي سرعان ما لبى ندائهم. فالبايلرباي قلج علي قام بالتواصل مع موريسكيي الأندلس قبل اندلاع ثورة البشرات بوقت قصير، عبر إرساله لهيئة لهم إلى غرناطة، ليخبرهم بضرورة البدء في ثورتهم وأنه بدوره سيقوم بتأمين العدة والعتاد لهم في أقرب الآجال.(٦٤) كما نجد أنه بعد اندلاع الثورة قيام السلطان العثماني سليم الثاني بإرسال فرمانين بتاريخ ١٠ من ذي الحجة ٩٧٧هـ/ ١٥٦٩م. ويعتبر هاذين الفرمانين بمثابة جواب لرسائل كان قد أرسلها مسلمي الأندلس، لطلب العون من السلطان سليم الثاني قبل وقت قصير من إندلاع ثورة البشرات.(٦٥)

فالفرمان الأول كان عبارة عن حكم موجه لبايلرباي الجزائر قلج علي يقول فيه السلطان سليم الثاني أنه وبموجب ما وردني لما يتعرض له مسلمي الأندلس من اعتداءات وغارات، وبموجب ما أرسله قلج علي للسلطان يسأله عن إمكانية إرسال الأسطول العثماني لمساعدة مسلمي الأندلس. ثم يجيبه بأنه بالنظر لوجود الأخطار التي تهدد أمن الدولة العثمانية من قبل القبارصة، الذين أشاعوا الفوضى في الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، فإنه لا يستطيع إرسال الأسطول العثماني في هذا الوقت بالذات لمساعدة مسلمي الأندلس. لكنه في الوقت ذاته يأمره بإمداد مسلمي الأندلس الموريسكيين بالسلاح والجنود.(٦٦)

وهكذا يفهم من هذه الوثيقة الهامة بأن العثمانيين أعطوا الأولوية لفتح قبرص، بدلًا من إرسال الأسطول العثماني لمساندة الموريسكيين، وهذا من أجل القضاء على الخطر المنطلق من جزيرة قبرص، خاصة بعد تهديد الجنويين لحركة الملاحة في الحوض الشرقي للبحر الأبيض

---

(٦٢) أنظر: كاربخال، مارمول، **وقائع ثورة الموريسكيين**، تر: وسام محمد جزر، مراجعة وتقديم جمال عبد الرحمان، المركز القومي للترجمة، ج.٢، ط.١، القاهرة، ٢٠١٢م، ص.٢١؛ يحياوي، جمال، **سقوط غرناطة ومأساة الأندلسيين (١٤٩٢-١٦١٠م)**، دار هومه، الجزائر، ٢٠٠٤م، ص. ١٦٢.

(٦٣) أنظر: الوثيقة رقم ٠٢ – الرسالة التي بعث بها مسلمي الأندلس للسلطان العثماني سليمان القانوني.

(64) Lea, Charles H., **The Moriscos of Spain**, London, 1901, p. 279.

(٦٥) أنظر الفرمان الأول و الثاني والمتضمنان في الوثيقتين رقم ٣ و٤ على التوالي.

(66) BOA., A.{DVNSMHM.d...(Mühimme Defteri), Kutu No. 9, Gömlek No. 204.

المتوسط من خلال مهاجمة سفن الحجيج والتجارة التابعة للمسلمين. فالدولة العثمانية كانت تخشى الخطر الجنوي المحدق بها ولم تكن تنوي الدخول في مخاطرة مجهولة العواقب عبر إرسال أسطولها في الوقت الذي لم تتمكن فيه من السيطرة جزيرة قبرص الواقعة بمقربة منها.

أما الفرمان الثاني فهو موجه لبايلرباي الجزائر قلج علي ويتضمن حكم موجه لمسلمي الأندلس، يخبره في هذا الفرمان بأنه تلقى "عرض الحال" الذي يشير فيه قلج علي لدور السلاح الذي أرسل من الجزائر إلى أهل الأندلس في قلب موازين القوى لصالح ثوار مسلمي الأندلس الموريسكيين. كما يؤكد له في هذا الفرمان أنه نتيجة لمخطط الدولة العثمانية، الرامي لفتح جزيرة قبرص وافتكاكها من يد الأعداء، فإنه سيتأخر في إرسال الأسطول العثماني لمساندة ثوار مسلمي الأندلس. وكنتيجة لهذا الوضع، يأمر السلطان سليم الثاني في هذا الفرمان، بايلرباي الجزائر قلج علي بضرورة تزويد ثوار مسلمي الأندلس على وجه السرعة بكل ما يلزمهم من الجند والسلاح، كما تضمن هذا الفرمان مجموعة من التوصيات التي تتكب كلها في نفس هذا الخصوص.[٦٧]

وبدوره قام بايبلرباي قلج علي بالامتثال للفرمان الهمايوني المرسل له من قبل السلطان سليم الثاني، وهذا من خلال دعم ثورة البشرات بغرناطة بالجنود والسلاح والذخيرة. ونجد أن المؤرخ الإسباني ماتياس إسكوديرو الذي عايش هذه الفترة بأن المساعدات القادمة من الجزائر بلغت حوالي أربعون سفينة لدعم الموريسكيين المتحصنين بجبال البشرات.[٦٨] كما قام البايلرباي قلج علي بشحن ست سفن بالسلاح والذخيرة باتجاه ثوار الأندلس، كما قام بعدها بإرسال حوالي اثنين وثلاثين سفينة أخرى محملة بالجنود إلا أنه بسبب العواصف وقوة الرياح تفرقت هذه السفن بالقرب من المارية،[٦٩] بحيث كانت لهذا الدعم لو قدر له الوصول أن يغير الموازين لصالح مسلمي الأندلس الموريسكيين. وبعدها بعام تم إرسال مئة جندي وأربعة ألاف بندقية بالإضافة إلى الذخيرة.[٧٠] وهناك الكثير من الدلائل والمصادر التاريخية سواء الأوروبية منها أو الموريسكية كلها تتحدث عن هذا الدعم الكبير القادم من إيالة الجزائر العثمانية.

فكان من سوء حظ مسلمي الأندلس الموريسكيين أن تفكك الأسطول المكون من أربعين سفينة المذكورة أعلاه أمام ألمارية بسبب العاصفة، وبالتالي حرموا من مساعدة عسكرية مهمة. ومن

(67) BOA., A.{DVNSMHM.d..., Kutu No. 9, Gömlek No. 231.

(68) De Buene İbarra, Miguel Angel, "La Guerra de Granada Vista por los castellanos del siglo XVI a la luz de un manuscrito inédito", ACTES I, Tunus 1980, p. 94.

(٦٩) التميمي، ص ص. ١٩-٢٠ (نقلًا عن: هايدو

De Haedo, Fray D., **Histoire des Rois d'Alger**, Alger, 1881, p. 139)

(٧٠) أنظر: بن حفري، ص. ٦٧.

ناحية أخرى، قام أحد أغاوات الإنكشارية المرسلين من الجزائر إلى مناطق الثورة بغرناطة والمدعو بالأغا حسين هذا الأخير، الذي كان يشدد على ضرورة إرسال الأسطول بدلًا من المساعدات العينية لغرناطة، بالإضافة إلى قيامه بإحداث شرخ وانقسام بين الثوار، وما نتج عنه من مقتل قائد الثورة محمد بن أمية.(٧١) كل هذه العوامل كانت لها تأثيرات سلبية على سيرورة ثورة البشارات ومصيرها. ما دفع هذه المرة بمسلمي الأندلس الموريسكيين بإبلاغ العثمانيين بإسطنبول بهاذين التطورين الخطيرين، مع طلب الدعم والمساعدة مرة أخرى. ليقوم بعدها السلطان سليم الثاني بإرسال مرسومً إلى الموريسكيين مرة أخرى، ليؤكد فيه على أنه ليس بإمكانه إرسال الأسطول، إلا بعد القضاء على التهديد الفينيسي الناشئ انطلاقًا من قبرص، كما أرسل مرسومًا أخر إلى بايلرباي الجزائر قلج علي، وأمره بتوجيه مساعدات إلى ثوار الأندلس. ومعاقبة الإنكشاري المدعو حسين آغا.(٧٢)

كما تجدر الإشارة بأن السلطان سليم الثاني لم يكتفي بإصدار الفرمانات وإرسالها فحسب، بل راح يقيم اتصالات مع البروتستانت الثائرين هم أيضا في وجه التعصب والاضطهاد الكاثوليكي ليحضهم على مواصلة الثورة في وجه الإسبان، وهذا كله من أجل فتح عدة جبهات مواجهة من شأنها إضعاف وتشتيت القدرات العسكرية الإسبانية. إلا أن الإسبان هم أيضًا قاموا بتطبيق هذه السياسة لإحداث شرخ بين ثوار الأندلس عبر استمالة البعض منهم وضمان استسلام البعض الأخر منهم.(٧٣) واستمر الإسبان بتطبيق هذه السياسة إلى أن ضعفت ثورة البشرات وأخمدت نهائيًا بمقتل قائدها مولاي عبد الله سنة ١٥٧١م.(٧٤)

ولم تتمكن الدولة العثمانية من التغلب على العقبة، التي كانت تحول دون إرسال الأسطول العثماني لمساندة ثورة البشرات، إلا عند مشارف ضعف هذه الثورة ونهاياتها، والتغلب على هذه العقبة تمثل في فتح جزيرة قبرص مرة أخرى وهذا بتاريخ شهر سبتمبر ١٥٧٠م.(٧٥) إلا أنه سرعان ما تشكل حلف صليبي بقيادة الباباوية للرد على فتح العثمانيين لجزيرة قبرص، ليلتقي الأسطولين العثماني والصليبي الأوروبي بمقربة من ليبانتو (İnebaht Deniz Savaşı) بتاريخ ٧

(71) Villanueva, Francisco Marquez, "El Mito degran conspiración morisca", ACTES II, Tunus, 1984, p. 272.

(72) BOA., A.{DVNSMHM.d..., Kutu No. 14, Gömlek No. 199.

(73) Ciezar, Nicolas Cabrillana, "Rebelion, guerra y expulsion de los moriscos de Almeria (1568-1571)", Los Cuadernos de la Biblioteca Española de Tetuan, 13-14 (Junio-Diciembre 1976), p. 42. Carvajal, Luis de Marmol, Rebelion y castigo de los Moriscos, Malaga, 1991, p.192-193.

(74) Carvajal, p.269-271; Lea, **The Moriscos**, 262; Baroja, Luis Caro, Los Moriscos del Reino de Granada, Madrid, 1976, p. 200; Ciezar, p. 52.

(75) Dündar, Recep, "KIBRIS'IN FETHİ", Türkler Ansiklopedisi, c. 9, s.667-678.

أكتوبر ١٥٧٠م، لتنهي هذه المعركة البحرية بهزيمة مدوية للأسطول العثماني.[٧٦] وبهذه الهزيمة يطوى عصر تفوق البحرية العثمانية على حساب خصومها الأوروبيين، ما جعل مسألة مساعدة ودعم مسلمي الأندلس الموريسكيين من خلال الأسطول العثماني مهمة مستحيلة. وفي الوقت الذي كانت فيه الدولة العثمانية منشغلة بتضميد جراحها جراء هزيمة ليبانتو. قامت إسبانيا بإصدار مراسيم تنص على أنه لن يتم إلحاق أي ضرر بالذين استسلموا من تلقاء أنفسهم بمجرد إخماد ثورة البشرات، لتتم بعدها عملية تهجير مسلمي الأندلس الموريسكيين الذين يعيشون في غرناطة وما جاورها إلى مناطق متفرقة من شمال إسبانيا وهذا ما أدى إلى تفرق وتشتت مسلمي الأندلس الموريسكيين في البلاد، وما نتج عنه من صعوبة التواصل معهم من قبل العثمانيين في المستقبل.[٧٧]

انظر الفرمانات الهمايونية المرسلة من قبل السلطان العثماني سليم الثاني في هذا الخصوص:

الوثيقة رقم٠٣: تمثل هذه الوثيقة الفرمان الأول المذكور أعلاه والذي أرسله السلطان إلى بايلرباي الجزائر قلج علي.

(76) BALLI, Ferşat, İNEBAHTI DENİZ SEFERİ'NİN AKDENİZ DÜNYASINDAKİ ÖNEMİ, İstanbul: Yüksek lisans tezi, İstanbul Üniversitesi, 2004.

(٧٧) أنظر: عنان، المرجع السابق، ص. ٣٧٥ ;Lea, **The Moriscos**, p. 263

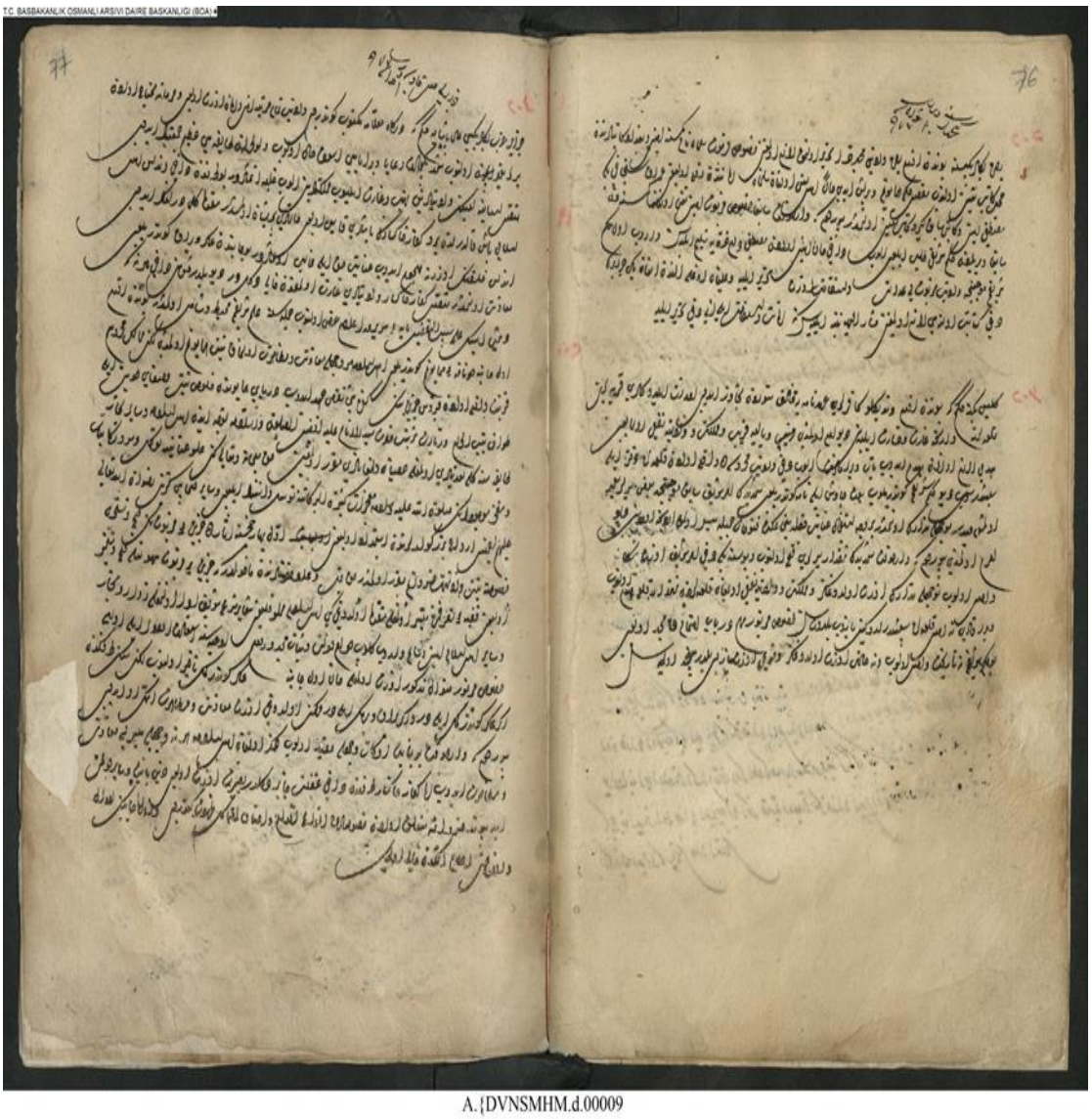

A.{DVNSMHM.d.00009

ترجمة لأهم ما جاء في الفرمان الهمايوني إلى اللغة العربية:

"... حكم موجه لبايلرباي الجزائر علي باشا:

إنه فيما يتعلق بطائفة اللوتران[٧٨] ومسلمي الأندلس وما يتعرضون له من مخاطر وتحرشات إسبانية عليهم. قد تلقينا رسالة يطلبون فيها منا العون والمساعدة بالجنود والعتاد والعدة.

(٧٨) **طائفة اللوتران:** والقصد بها هنا الطائفة اللوثرية أو المذهب اللوثري. و**اللوثرية:** هي فرع من أكبر فروع المذهب البروتستتي التي تنتسب إلى تعاليم المجدد الألماني مارتن لوثر، هذا الأخير الذي بدأ بجهوده لتجديد اللاهوت والنظام الكنسي الإصلاحي البروتستانتي. أنظر: سكوت إتش هندريكس، **مارتن لوثر مقدمة قصيرة جدًا**، تر. كوثر محمود محمد، مر. هبة عبد العزيز غانم، القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط.١، ٢٠١٤م.

ولو أنهم كانوا قد أكدوا في هذه الرسالة على ضرورة إرسال الأسطول العثماني من أجل إنقاذ المسلمين ونجدتهم. إلا أنه وبسبب التهديدات والتعديات الصادرة من القبارصة الذين أخلوا باستقرار المنطقة وسير حركة الملاحة بالبحر الأبيض، فإنه وخاصة في هذا الوقت بالذات لا نستطيع أن نرسل الأسطول. وأنه يتعين عليكم يا بايلرباي الجزائر أن ترسل لمسلمي الأندلس المحاصرين السلاح والجنود من أجل مساعدتهم في محنتهم..."

مصدر الوثيقة: الأرشيف العثماني وهي بتاريخ ٩٧٧/١١/١٠هـ

BOA., A.{DVNSMHM.d..., Kutu No. 09, Gömlek No. 204.

الوثيقة رقم ٠٤: تمثل هذه الوثيقة الفرمان الثاني المشار عليه أعلاه والذي أرسله السلطان العثماني إلى بايلرباي الجزائر، والذي هو عبارة عن حكم موجه لمسلمي الأندلس الموريسكيين.

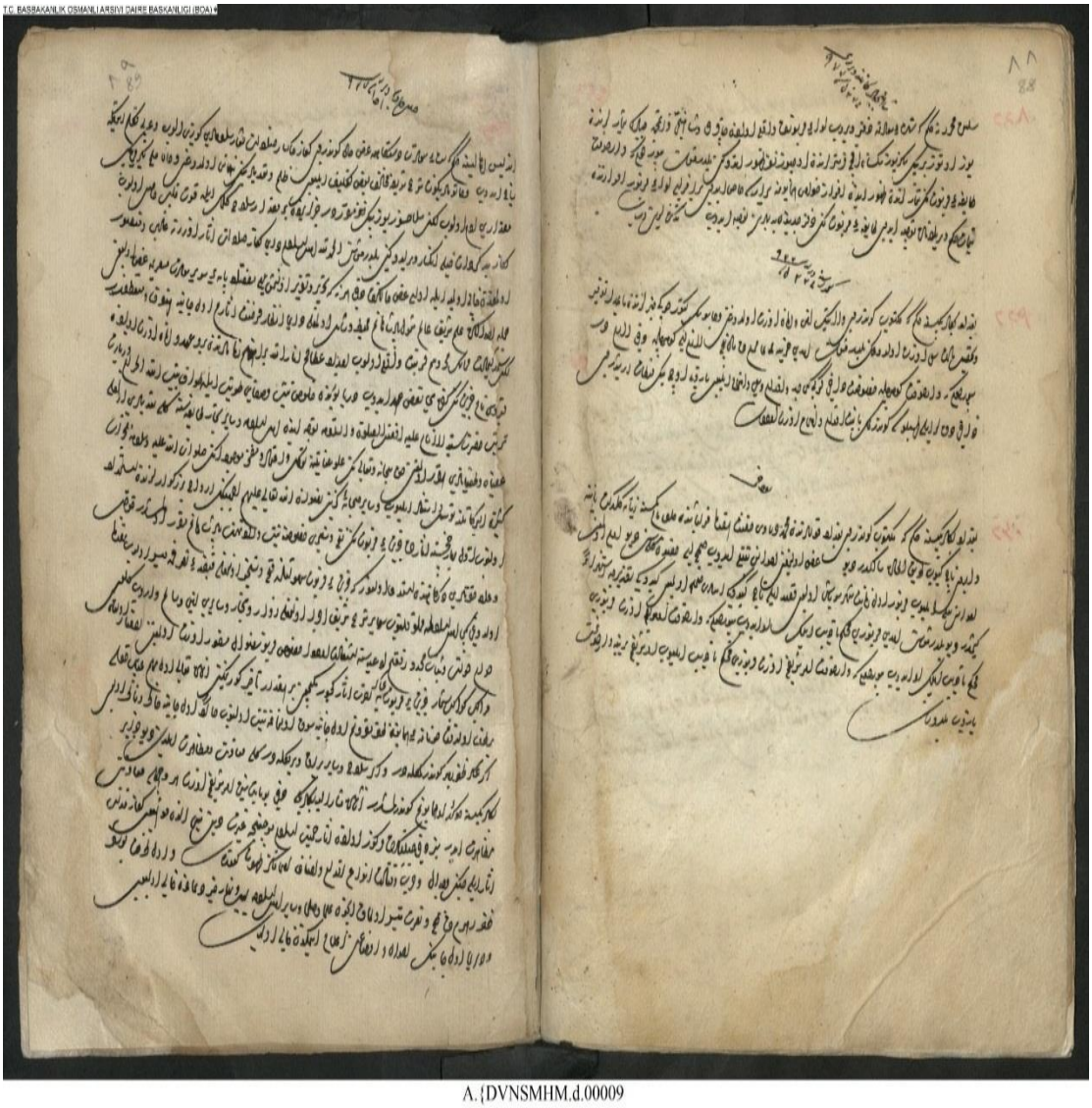

A.{DVNSMHM.d.00009

ترجمة لأهم ما جاء في الفرمان الهمايوني إلى اللغة العربية:

"... حكم موجه لأهالي الأندلس:

إنه وبعد أن تلقينا عرض حال مرسل من قبل الأندلسيين،[٧٩] يتضمن أنه بعدما تم إرسال مقدار من السلاح فإنه تم قلب الموازين لصالح المسلمين بحيث ساعدهم هذا السلاح بالتفوق نوعا ما على الإسبان. وإن كانوا قد طلبوا في عرض الحال هذا بإرسال الأسطول العثماني، إلا أنه وبعد إحداث الأعداء للفوضى في البحر الأبيض فإن تحريرنا لجزيرة قبرص من يد الأعداء سيجعلنا نتأخر قليلا في المساهمة في الجهاد إلى جانب مسلمي الأندلس من خلال ارسالنا للأسطول. وأنني قمت في هذا الخصوص بإرسال توصيات وفرمانات أمركم فيها (أي) بايلرباي الجزائر الغرب بضرورة امداد مسلمي الأندلس بالسلاح والجنود على وجه السرعة...".

مصدر الوثيقة: الأرشيف العثماني وهي بتاريخ ٧٩٩/١١/١٠هـ

BOA., A.{DVNSMHM.d..., Kutu No. 09, Gömlek No. 231.

الوثيقة رقم ٠٥: تمثل هذه الوثيقة فرمان موجه لبرتف باشا.

(٧٩) **عرض حال:** وهناك من يكتبه متصلًا هكذا "عرضحال": وهو عبارة عن معروض يكتبه المواطن لتقديم شكاويه أو الاستجابة لطلب من طلباته إلى المقام المسؤول في الدولة العثمانية. أنظر: سهيل صابان، **المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية**، الرياض: مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ٢٠٠٠م.

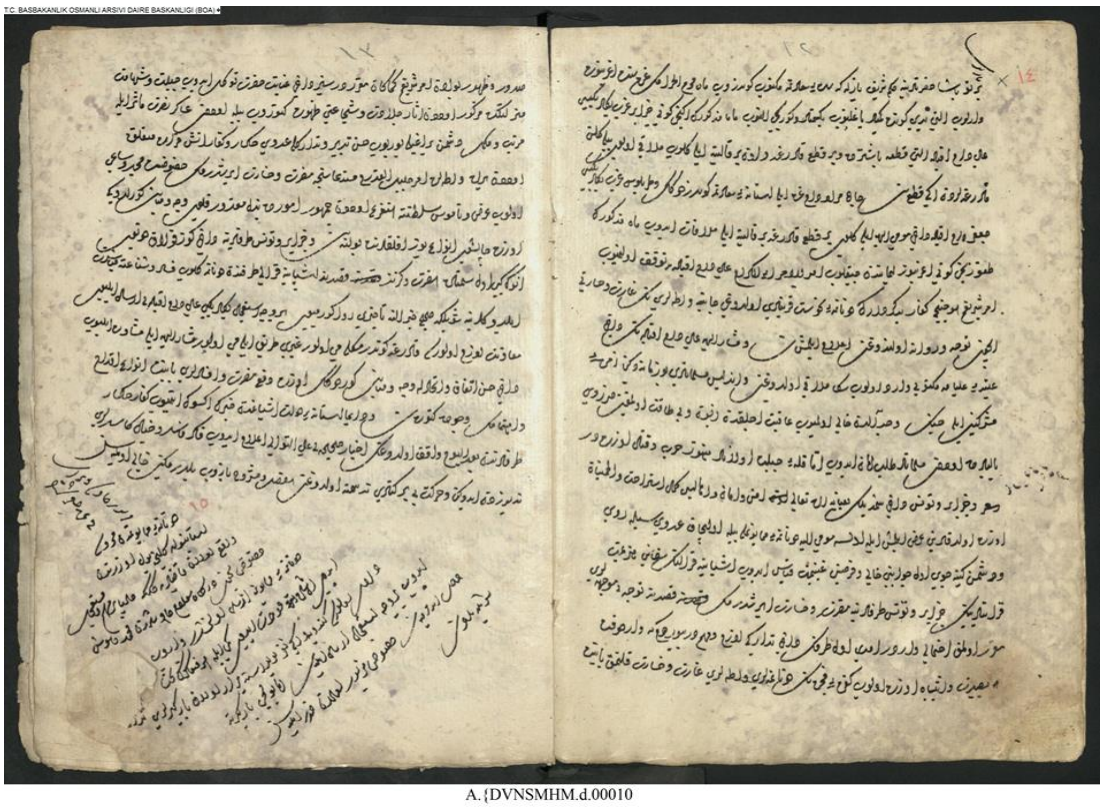

A.{DVNSMHM.d.00010

ترجمة لأهم ما جاء في الفرمان إلى اللغة العربية:

"... حكم موجه لبرتف باشا:

تلقينا رسالة بأنك خرجت من أجل ضرب جزر وسفن الأعداء وهذا بعد اللقاء مع سفن بايلرباي الجزائر الغرب علي باشا وبايلرباي طرابلس الغرب جعفر باشا.

وبموجب الرسالة التي تلقيناها من قبل بايلرباي الجزائر التي يتحدث فيها عن مسلمي الأندلس وعن خسارة الأعداء وانهزامهم، ويقول في الرسالة حتى وإن كان الوضع في الجزائر آمن. فإن ارسال الأسطول من أجل مساعدة مسلمي الأندلس هو أمر ضروري، كما أننا حولنا أوامرنا وتوجيهاتنا إلى بايلرباي الجزائر قلج علي باشا بتقديم المساعدة لمسلمي الأندلس على وجه السرعة..."

مصدر الوثيقة: الأرشيف العثماني وهي بتاريخ ٩٧٩/٠٢/١هـ

BOA., A.{DVNSMHM.d..., Kutu No. ١٠, Gömlek No. ١٤.

فرمانات أخرى بعث بها السلطان سليم الثاني تتعلق بمسلمي الأندلس الموريسكيين:

الوثيقة رقم ٠٦:

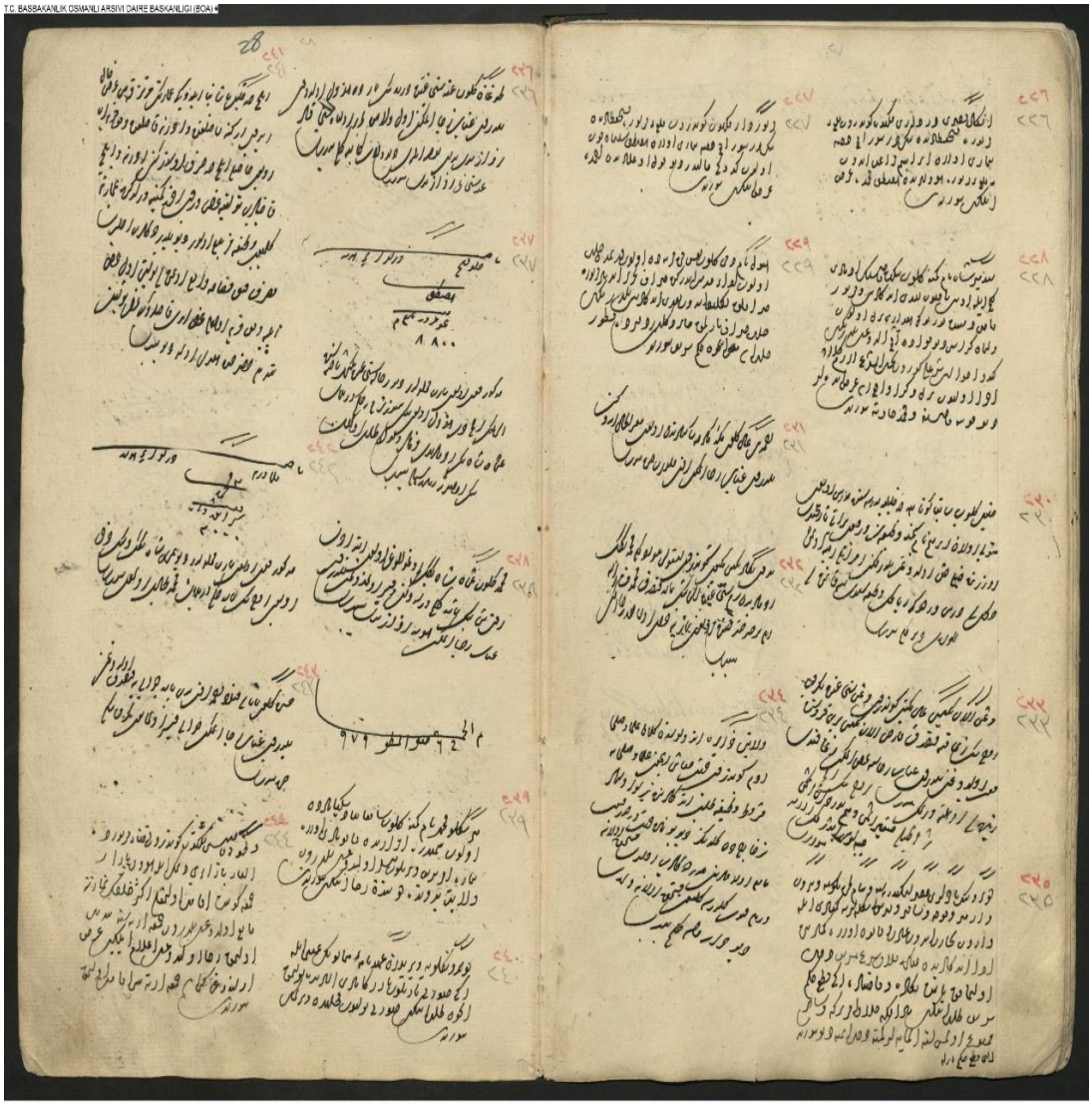

A.{DVNSMHM.d.00015

ترجمة لأهم ما جاء في الفرمان إلى اللغة العربية:

هذه الوثيقة هي عبارة عن فرمان موجه إلى قاضي الجزائر يأمر فيه السلطان بضرورة إعطاء علماء الأندلس وصلحائها أولئك الذين اختاروا الاستقرار في الجزائر وأن يتم إعطائهم معاشاتهم ورواتبهم كاملة غير منقوصة.

<u>مصدر الوثيقة:</u> الأرشيف العثماني وهي بتاريخ ٩٧٩/٠٢/٠٤هـ

BOA., A.{DVNSMHM.d..., Kutu No. ١٥, Gömlek No. ٢٣٤.

الوثيقة رقم ٠٧:

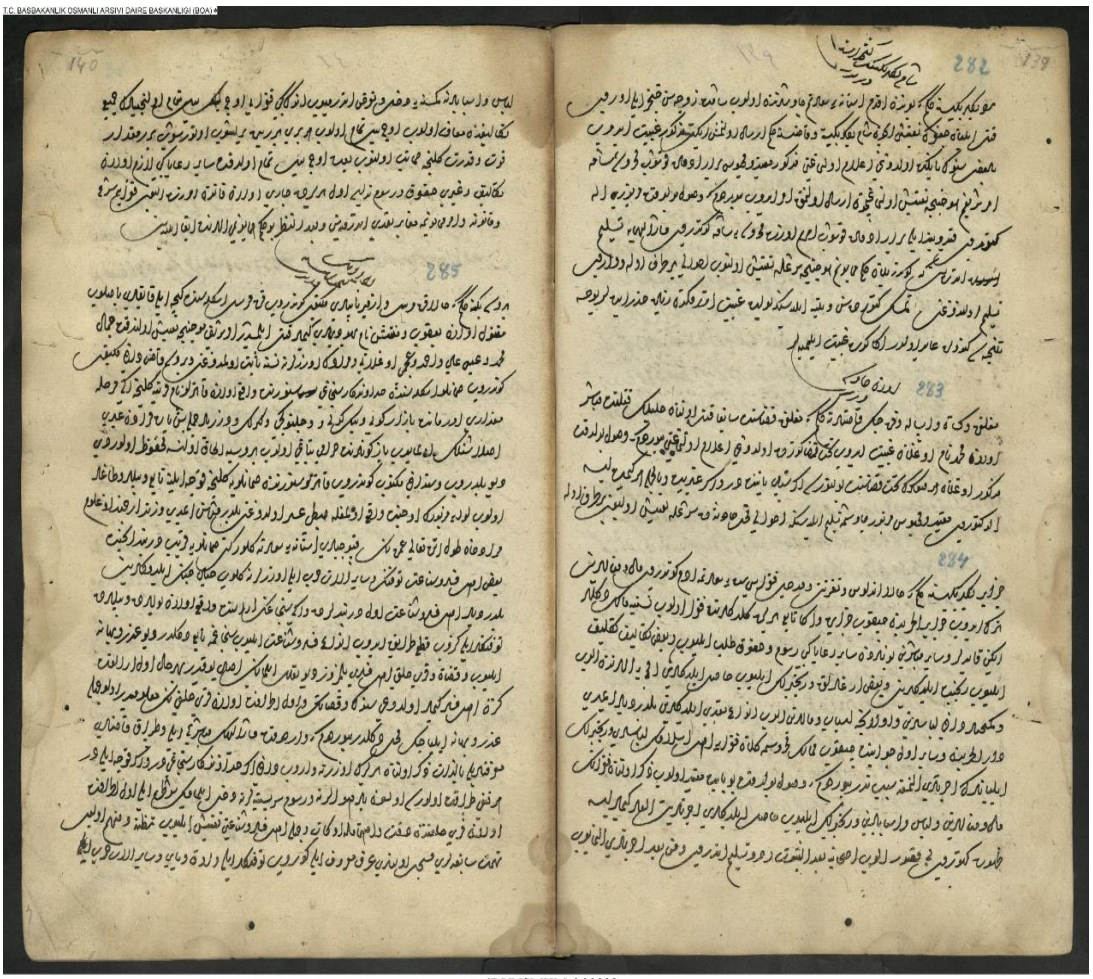

A.{DVNSMHM.d.00023

ترجمة لأهم ما جاء في الفرمان إلى اللغة العربية:

حكم موجه لبايلرباي الجزائر:

يقضي هذا الحكم باعتبار الأندلسيين المسلمين (من أهالي التفرتن ومدحيل كما وردت في الأصل) والذين هاجروا من دار الحرب في إسبانيا إلى الجزائر كأهالي ورعايا جزائريين، ويقضي هذا الحكم بمنع إلباس هؤلاء الأندلسيين لباسا معين من أجل تمييزهم عن بقية الجزائريين.

<u>مصدر الوثيقة:</u> الأرشيف العثماني وهي بتاريخ ٩٨١/٠٧/٢٨هـ

BOA., A.{DVNSMHM.d..., Kutu No. 23, Gömlek No. 284.

خاتمة:

انتهت هذه الدراسة إلى جُمْلة من النتائج، يُمكِن إجمالها في ما يأتي:

١- بدء العلاقات العثمانية الأندلسية -وَفق بعض الباحثين- بإرسال أهل الأندلس سفارة إلى إسطنبول يطلبون فيها إلى الدولة العثمانية تقديم العون والمَدَد لهم. وبالمقارنة بين ما ذكره المُؤرِّخون والباحثون، تَبيَّن لنا أنَّ إرسال الأندلسيين لسفارتهم الأولى كان عام ٨٩٢هـ/ ١٤٨٦م؛ أيْ في عهد السلطان بايزيد الثاني، وليس في عهد السلطان محمد الفاتح كما أشاع ذلك -خطًا- بعض الباحثين الذين اعتمدوا على ما كتبه كاتب جلبي، من المُرجَّح أنَّه أخطأ في نسخ التاريخ؛ فانساق كثير من المُؤرِّخين والباحثين خلف هذا الخطأ من دون تدقيق وتمحيص.

٢- استجابة الدولة العثمانية لنداء الاستغاثة الذي بثَّه الأندلسيون في سفارتهم الأولى لم يرتقِ إلى مستوى هذا الحدث الجَلل؛ ذلك أنَّ الأسطول العثماني وقتئذٍ لم يكن في وضع يسمح له أنْ يشنَّ حربًا على الطرف الإسباني في مجاهل لا يعرفها بعدُ، فضلًا عن وجود توتر داخلي في الدولة العثمانية نفسها بسبب الخلاف بين السلطان العثماني بايزيد الثاني وأخيه جم حول العرش، وما تبع ذلك من توتر على الجبهة الخارجية بعد احتكاك العثمانيين بالمماليك والصفويين.

٣- استمرار مسلمي الأندلس في إرسال سفارات ورسائل استغاثة إلى الدولة العثمانية، فكانت السفارة الثانية إلى إسطنبول عام ١٥٠١م، وفيها طلبوا إلى السلطان العثماني النصرة والمَدَد والمساعدة، بعد وصفهم له حالهم، وما أصاب بلادهم من احتلال وتدمير، وسقوط آخر معاقلهم غرناطة. وقد استجاب لهم السلطان بايزيد الثاني، فأرسل الأسطول العثماني إلى البحر الأبيض، حيث هاجم ملقة وجزر البليار، ونقل كثيرًا من مسلمي الأندلس الموريسكيين إلى السواحل الجزائرية وإسطنبول.

٤- مساعدة خير الدين بربروس مسلمي الأندلس الموريسكيين انطلاقًا من الجزائر، بعدما اتَّخذ الأخوة بربروس مدينة الجزائر قاعدة لهم في غرب البحر الأبيض المتوسط، لتتحوَّل هذه المدينة إلى قاعدة عثمانية بعد دخول الجزائر في كنف الدولة العثمانية عام ١٥١٩م؛ فقد كثَّف خير الدين بربروس من حملاته البحرية على السفن الإسبانية، ونقل عددًا كبيرًا من مسلمي الأندلس، وهو ما أشار إليه مسلمو الأندلس في رسالتهم إلى السلطان العثماني عام ١٥٤١م، التي أشادت بالخدمات التي قدَّمها خير الدين للموريسكيين.

٥- دعم إيالة الجزائر العثمانية ثورة البشرات في الأندلس (١٥٦٨-١٥٧١م)، بعدما طلب مسلمو الأندلس المساعدة من سلطان المغرب الأقصى المنصور الثاني السعدي الذي خذلهم، وأخلف وعده بمساعدتهم. ومن ثَمَّ، فقد جاءهم العون والمَدَد من الجزائر بعد تأكيد السلطان العثماني سليم الثاني – في كثير من الأوامر (الفرمانات) التي أرسلها إلى بايلرباي الجزائر– ضرورة الإسراع في مساعدة مسلمي الأندلس على إنجاح ثورتهم.

٦- سعي الدولة العثمانية إلى إرسال الأسطول العثماني لمساندة مسلمي الأندلس الموريسكيين بعد إخماد تمرُّد القبارصة. وما إنْ تمكَّنت من القضاء على تمرُّد القبارصة، وصَدِّ عدوان البنادقة في جزيرة قبرص، وفتحتها، حتى انهزمت في معركة ليبانتو على يد الأوروبيين عام ١٥٧٠م؛ ما حال دون إرسال الأسطول العثماني للدفاع عن مسلمي الأندلس الموريسكيين. وبالرغم من ذلك، فإنَّ الدولة العثمانية لم تَأْلُ جهدًا في مَدِّ يد العون والمساعدة إلى مستضعفي بلاد الأندلس من المسلمين الموريسكيين.

قائمة المصادر والمراجع

١- وثائق الأرشيف العثماني:

BOA., A.{DVNSMHM.d...(Mühimme Defteri), Kutu No. 9, Gömlek No. 204.

A.{DVNSMHM.d..., Kutu No. 09, Gömlek No. 231.

A.{DVNSMHM.d..., Kutu No. ١٠, Gömlek No. 14.

A.{DVNSMHM.d..., Kutu No. 14, Gömlek No. 199.

A.{DVNSMHM.d..., Kutu No. ١٥, Gömlek No. 234.

A.{DVNSMHM.d..., Kutu No. 23, Gömlek No. 284.

TS.MA.E, Kutu No. 0757, Gömlek No. 0063.

TS.MA.E, Kutu No. 0576, Gömlek No. 0035.

٢- المصادر والمراجع العربية والمعربة:

ابن اياس، محمد بن أحمد، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، الجزء٢، بولاق، ١٣١١هـ.

إلتر، عزيز سامح، **الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية**، تر. محمود علي عامر، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٩/١٩٨٩.

إيفانوف، نيقولاي، **الفتح العثماني للأقطار العربية (١٥١٦-١٥٧٤م)**، تر: يوسف عطاء الله، دار الفارابي، بيروت، ١٩٨٨م.

بعارسية، صباح، "أوضاع المغرب الأوسط (الجزائر) في أوائل القرن السادس عشر"، **مجلة عصور جديدة**، ع. ٢٤-٢٥، أكتوبر ١٤٣٨هـ/٢٠١٦م.

بلحميسي، مولاي، "الجزائر والغزو البحري في القرن السادس عشر"، **مجلة تاريخ وحضارة المغرب**، كلية الآداب، جامعة الجزائر، العدد.٤، الجزائر، جانفي ١٩٦٨م.

التميمي، عبد الجليل، **الدولة العثمانية وقضية الموريسكيين الأندلسيين**، مركز الدراسات و البحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان- تونس، ١٩٨٩م.

جلبي، كاتب، **تحفة الكبار في أسفار البحار**، تحقيق وترجمة: محمد حرب، تسنيم حرب، دار البشير للثقافة والعلوم، القاهرة، ٢٠١٦م.

جلبي، كاتب، **تقويم التواريخ**، نشر إبراهيم متفرقه، أسطنبول، ١١٤٦/١٧٣٣م.

الحسن، عيسى، **تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية الى نهاية الدولة العثمانية**، الأهلية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٨م.

خيراني، صلاح، **العلاقات السياسية بين إيالة الجزائر والباب العالي (١٧٩٢-١٨٣٠)**، أطروحة ماجستير، قسم تاريخ الشرق الأوسط السياسي والعلاقات الدولية، معهد دراسات الشرق الأوسط والدول الإسلامية، جامعة مرمرة، إسطنبول، ٢٠٢٠/٢٠٢١م.

دراج، محمد، **الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس**، دار الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠١٢م.

رضوان، نبيل عبد الحي، **جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس واسترداده في مطلع العصر الحديث،**: مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

الزبيري، محمد العربي، **مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث**، الجزائر: المؤسسة الجزائرية للطباعة، ط.٢ ، ١٩٨٥م.

سبنسر، وليام، **الجزائر في عهد رياس البحر**، تعريب وتقديم عبد القادر زبادية، الجزائر، ١٩٨٠م.

عنان، محمد عبد الله، **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين**، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط.٣، القاهرة، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.

غزوات عروج وخير الدين، نشر: نورالدين عبد القادر، المطبعة الثعالبية، الجزائر، ١٣٣٥م/ ١٩٣٤م.

غطاس، عائشة وآخرون، **الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر ١٩٥٤م، الجزائر، ٢٠٠٧م.

فكاير، عبد القادر، **الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية ٩١٠-١٢٠٦هـ/١٥٠٥-١٧٩٢م: دراسة تتناول الآثار السياسية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية على الجزائر**، دار هومه، الجزائر، ٢٠١٢م.

كاربخال، مارمول، **وقائع ثورة الموريسكيين**، تر. وسام محمد جزر، مراجعة وتقديم جمال عبد الرحمان، المركز القومي للترجمة، ج.٢، ط.١، القاهرة، ٢٠١٢م.

المدني، أحمد توفيق، **حرب الثلاثمئة سنة بين الجزائر وإسبانيا ١٤٩٢-١٧٩٢م**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت.

مذكرات خير الدين بربروس، ترجمة: محمد دراج، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

المقري، التلمساني الجزائري أحمد بن محمد، **أزهار الرياض في اخبار عياض**، تحقيق: مصطفى السقى و آخرون، الجزء الأول (III)، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م.

المقري، التلمساني الجزائري أحمد بن محمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، مج. ٤، بيروت، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

يحياوي، جمال، **سقوط غرناطة ومآساة الأندلسيين (١٤٩٢-١٦١٠)**، دار هومه، الجزائر، ٢٠٠٤م.

٣- المصادر والمراجع باللغة التركية:

Asrar, Nasir Ahmed, **Kanunî Süleyman Devrinde Osmanlı Devletinin Dinî Siyaseti ve İslam Âlemi (1520-1566)**, Doktora Tezi, İstanbul Üniversitesi Edebiyat Fakültesi, İstanbul, 1971.

Benafri, Chakib, **Endülüs'te Son Müslüman Kalıntısı Morisko'ların Cezayir'e Göçü Ve Osmanlı Yardımı**,Hacettepe Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü, (Basılmamış Yüksek Lisans Tezi), Ankara, 1989.

Bilgin, Feridun, "Mekân ve İnsan: Gelibolu ve Barbaros Hayreddin Paşa (Osmanlı Devleti'nin Akdeniz Hâkimiyeti)", **Çanakkale Araştırmaları Türk Yıllığı**, YIL 11, Bahar 2013, S. 14.

Bostan, İdris, "PREVEZE DENİZ MUHAREBESİ", **TDV İslam Ensiklopidisi**, c.34, 2007.

Çelebi, Katip, **Takvimu't-Tevârih**, İstanbul, 1146/1733.

Çelebi, Katip, **Tuhfetu'l-Kibâr**, Matba-i Amire, İstanbul 1141.

Dündar, Recep, "KIBRIS'IN FETHİ", Türkler Ansiklopedisi, c. 9, s.667-678.

Efdaleddin, "Bir Vesika-i Müellim", Tarih-i Encümen-i Osmanî Mecmûası (TOEM), I, 1-6 (1329/1911).

Emecan, Feridun, "Kanunî Sultan Süleyman Devri", **Doğuştan Günümüze Büyük İslâm Tarihi**, İstanbul, 1992.

İlter, Aziz Samih, **Şimali Afrika'da Türkler**, İstanbul, 1936.

KHEIRANI, Salah, **CEZAYİR EYALETİ VE BABIÂLİ ARASINDAKİ SİYASİ İLİŞKİLER (1792-1830)**, Yüksek Lisans Tezi, ORTA DOĞU SİYASİ TARİHİ VE ULUSLARARASI İLİŞKİLERİ ANABİLİM DALI, ORTA DOĞU VE İSLAM ÜLKELERİ ARAŞTIRMALARI ENSTİTÜSÜ, MARMARA ÜNİVERSİTESİ, İstanbul, 2020/2021.

Kılıç, Orhan, "Beylerbeyilerden Dayılara Cezayir-i Garp Vilayeti/Eyaleti'nin Yönetimi ve Yöneticileri", **Cappadocia Journal of History and Social Sciences**, V. 9, October -2017.

Kuran, Ercüment, Cezayir Türkleri'nin Endülüs Müslümanlarını Kuzey Afrika'ya Nakli ve Neticeleri", **Endülüs'ten İspanya'ya**, Ankara,1996.

Kurtoğlu, Fevzi, "Mukaddime", **Kitâb-ı Bahriye**, TTK, Ankara 1935.

Özbaran, Salih, "16. Yüzyılda Basra Körfezi Sahillerinde Osmanlılar: Basra Beylerbeyliğinin Kuruluşu", **TD**., S.25 (1971).

Özbaran, Salih, "Osmanlı İmparatorluğu ve Hindistan Yolu", **TD**., S. 31, 1978.

Özdemir Mehmet, "İspanya Krallığı'nın XVI. Yüzyılda Endülüs Müslümanlarını Hıristiyanlaştırma Politikası" (I), **Ankara Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi** (**AÜİFD**), XXXV, A 1996.

Piri Reis, **Kitab-ı Bahriye**, ed. Ertuğrul Zekai Öteke, Kültür ve Turizm Bakanlığı Yayınları, c.I, Ankara, 1988.

PREVEZE DENİZ ZAFERİ BARBAROS HAYREDDİN PAŞA ANISINA, TC. İLETİŞİM BAKANLIĞI.

Şakiroğlu, Mahmut H., Cezâyir-i Bahr-i Sefîd, İstanbul: **TDV İslâm Ansiklopedisi**, c.7, 1993.

Uzuncarşılı, İsmail Hakkı, **Osmanlı Tarihi**, c.II, Ankara, 1983.

٤- المراجع الأجنبية:

Arié, Rachel, **El Reino Nasrí de Granada**, Madrid, 1992.

Baroja, Luis Caro, **Los Moriscos del Reino de Granada**, Capitulo I., Madrid, 1976.

Carvajal, Luis de Marmol, **Rebelion y castigo de los Moriscos**, Malaga, 1991.

Ciezar, Nicolas Cabrillana, "Rebelion, guerra y expulsion de los moriscos de Almeria (1568-1571)", **Los Cuadernos de la Biblioteca Española de Tetuan**, 13-14 (Junio-Diciembre 1976).

De Buene İbarra, Miguel Angel, "La Guerra de Granada Vista por los castellanos del siglo XVI a la luz de un manuscrito inédito", ACTES I, Tunus, 1980.

De Haedo, Fray D., **Histoire des Rois d'Alger**, Alger, 1881.

Lea, Charles H., **A History of the Inquisition in Spain**, New York, 1906.

Lea, Charles H., **The Moriscos of Spain**, London, 1901.

Villanueva, Francisco Marquez, "El Mito degran conspiración morisca", ACTES II, Tunus, 1984.